□ عُلُوُّ الهِمَّةِ في الصَّدقةِ والجُودِ والإيثار □

أَشْرَفُ ملابسِ الدُّنيا ، وأَزينُ حُلَلها ، وأَجْلَبُهَا لحمدٍ ، وأَدفَعُهَا لذمٍّ ، وأَسترُهَا لعيبٍ – كرمُ طبيعةٍ يتحلَّى بِهَا السَّمْح السّرِيّ ، والجَوَاد السَّخي . ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمَّى بها ، فهو الكريم عز وجلْ ، ومن كان كريمًا منْ خَلْقه ، فقد تسمَّى باسمه ، واحتذى على صفته[١].

قال رسـول الله ﷺ : « إنَّ الله تعالى جَوَادٌ يحبُّ الجُـودَ ، ويحبُّ معاليَ الأخلاق ، ويكره سَفْسَافَهَا »[٢].

وقال رسـول الله ﷺ : « إنَّ الله كريمٌ يحبُّ الكُرَماء ، جَـوَادٌ يحب الجَوْدة ، يحبُّ معالي الأخلاق ، ويكره سَفْسَافَهَا »[٣].

وقال ﷺ : « إنَّ الله كريمٌ يحبُّ الكرم ، ويحبُّ معالي الأخلاق ، ويكره سَفسافها »[٤].

سبحانه من كريم . جَواد ، علا على كلِّ جوادٍ ، وبه جَادَ كلُّ من جاد .

والجُودُ على ألسنةِ الورى محمودُ .

ليس يُعْطيك للرجـاءِ أو الخَـوْ ... فِ ولكـنْ يَلـذُّ طَعْـم العطـاءِ

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١ / ٢٢٥ .
(٢) صحيحٌ ، سبق تخريجه .
(٣) صحيحٌ ، سبق تخريجه .
(٤) صحيحٌ ، سبق تخريجه .

وكفى بالجود حمدًا أن اسمه - مطلقًا - لا يقع إلا في حمدٍ ، وكفى بالبخلِ ذمًّا أن اسمه - مطلقًا - لا يقع إلا في ذمٍّ .

ومنْ شرفه أنَّ الله عز وجل قَرَن ذِكْرَه بالإيمان ، ووصف أهله بالفلاح ، والفَلاحُ أجمع اسمٍ لسعادة الدَّارَيْن ، فقال : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيبِ ويُقيمون الصلاةَ ومما رزقناهم يُنْفقون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ [البقرة : ٣ - ٥] ، وقال تعالى : ﴿ **ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [الحشر : ٩] .

وحُقَّ للجُودِ أنْ يقترن بالإيمان ، فلا شيء أخصّ به وأشد مجانسةً له منه ، فَمِنْ صفة المؤمن انشراحُ الصدر : ﴿ **فمن يُرِدِ اللهُ أن يهديَه يشرحْ صدره للإسلام ومن يُرِدْ أن يضلَّه يجعلْ صدره ضَيِّقًا حَرَجًا** ... ﴾ الآية [الأنعام : ١٢٥] ، وهما من صفات الجَوَاد والبخيل ؛ لأن الجَوَاد يوصف بِسَعَةِ الصَّدر للإنفاق ، والبخيل يوصف بضيق الصَّدر للإمساك .

فبادروا وجوِّدوا هممكم ، واعلوا بها لمصَامِ الأجواد والكرماء ، يرفعكم الجُودُ إلى عَنان السماء .

لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشمس من كرمٍ   قومٌ بأوَّلهمْ أو مَجْدهم قعدُوا

الأيام صحائفُ الأعمار ، فخلِّدوها بأحسن الأعمال ، والفُرصُ تمُرُّ مرَّ السَّحاب ، والعجز عن استدراكها شأن الخوالف .

يجني الغنيُّ للِّئامِ لو عقلوا   ما ليس يجني عليهمُ العدمُ
همُ لأموالهمْ ولَسْنَ لهمْ   والعارُ يَبْقَى والجُرْحُ يلتئمُ

البُخْلُ فِعلٌ لازم ، لا يتعدى بجمع الدَّراهم جمْع الثّريا ، والأقدار تفرِّقها كبناتِ نعش[1] .

---

(١) اسم لعدة نجوم .

وَمَنْ يُنفِقِ الأعمارَ في جمعِ مالِهِ مخافةَ فقرٍ فالذي فَعَلَ الفقرُ

يا هذا ، كان المال عند الكرماء كالماءِ ، فلو تأمّل البخيل فَضْلَ مطلوب الكريم لصبا ، وَيْحَكَ إنَّ أكبر شرفِ الكريم ردُّ لهف العديم .

فسبحان من خلق الأضداد ، وفرَّق بين العباد ، أمّا البخيل بالذَّهَب فمات وَذَهَب ، وأمّا الكريم فعاش بعد الموت بما وَهب .

وَهُمْ يُنْفذونَ المالَ في أوَّل الغِنَى وَيَسْتأنفونَ الصَّبْرَ في آخرِ الصبرِ
إذا سُئلوا لم يبتغوا المال وجهةً ولم يَدْفعوا في صفحةِ الحقِّ بالعُذْرِ
من البيضِ بسَّامون والعامُ كالحٌ جدوبًا ومطّارون في الحجج الغُبْرِ
مغاويرُ في الجُلّا مغايير للحمى مَفَاريجُ للغُمَّى مَداريكُ للوَترِ
وتأخذهمْ في ساعةِ الجود هِزّة كما خايل المِطرابُ من نزوةِ الخمرِ
فتحسَبْهمْ فيها نشاوى من الغِنى وهم في جلابيب الخصَاصَة والفَقرِ
عظيمٌ عليهمْ أن يبيتوا بِلا يَدٍ وهَيْنٌ عليهمْ أن يَبيتوا بلا وَفْرِ
إذا نزل الحيَّ الغريبُ تقارعوا عليه فلم يُدرَ المقلُّ من الثري
يميلون في شِقِّ الوفاء مع الردى إذا كان محبوبُ البقاء مع الذِّكْرِ

قال تعالى : ﴿ **مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبعَ سنابل في كل سنبلةٍ مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يُتْبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[البقرة : ٢٦١ - ٢٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كَسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وَلَسْتُم بآخذيه إلا أن تُغْمضوا فيه واعلموا أن الله غنيٌّ حميد * الشيطان يعدكم الفقر**

ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلًا والله واسعٌ عليم ﴾

[البقرة : ٢٦٧ - ٢٦٨] .

فالذي يدعوهم إلى البخل والشُّح هو الشيطان .

دَلَّاهُمُ بغُرورٍ ثمَّ أوردهمْ إنَّ الخبيثَ لمن وَالاه غَرَّارُ

واللهُ يعدُ عبده مغفرةً منه لذنوبه وفضلًا ، بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه ، إما في الدنيا ، أو في الدنيا والآخرة .

فهذا وعدُ الله ، وذاك وعدُ الشيطان ، فلينظر البخيلُ والمنفقُ أيَّ الوعدين هو أوثق ، وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه ؟!

فاشكرْ من أماتَ غيرك بالعدم وهو حيٌّ وأنْشَرك .

وما قدر كسرة تعطيها ، أوما سمعتَ أن الرَّبَّ يُرْبيها ، فيراها صاحبها كجبلِ أُحُد ، أفيرغبُ عن مثل هذا الخير أحدٌ ؟!

واعجبا للُقْمةٍ كانت قليلةً فكثُرت ، وفانيةً فبقيتْ ، ومَحْفوفةً[1] فَحُفِظَتْ . أما علمت أن الصدقةَ إذا صَدَقتْ في إخراجها نفسُ تقيٍّ ، تقي ميتةَ السّوءِ ، وتُطفئ غضبَ الربِّ .

إن اللقمة إذا أُكلتْ صارتْ أذًى وقبائح في الحُشِّ ، وإذا تُصدِّق بها صارت إذًا مدائح عند العرش .

إن تطوّعات البدن لا تتعدَّى المتطوِّع ، وإن نفع الصدقة متعدّد متنوّع .

إن مقيم جسد الفقير بأسباب صِلاته ، شريكٌ له في ثواب صَلاته .

ومن فطّر صائمًا قد صبر إلى عشائه من فَجْره ، فله مِثْلُ أجْرِهِ .

---

(١) زائلة ، من قولهم : حفّ الشمع ؛ إذا ذهب .

إن الصَّدَقة سريعةُ الخلف ، وحافظةٌ بعد الموت للخَلَف .

واعلم أن إنفاق حبّة ، يُثمر لك الوفاق والمحبّة ﴿ **في كلِّ سنبلةٍ مائةُ حبة** ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

ثم قدِّر أنك لا تُثاب على هذه اللقمة ، أين الحُنُوّ على الأخ والرحمة ؟!

هان على الأملس ما لاقى الدَّبر[١] .

قد كان حاتم الطائيُّ كافرًا ، وكان يُطعم حاضرًا ومسافرًا ، فإذا فضلت لقماتٌ ألقاهنّ على الرَّمْل ، وقال : إنّهنّ جارات - يعني النمل - .

كان الصالحون يثورون إلى الإيثار وأنت رصاصة[٢] ﴿ **ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة** ﴾ [الحشر : ٩] .

كان الكرام وأبناءُ الكرام إذا   تسامعوا بكريمٍ ناله عَدَمُ
تسابقوا فيُواسيه أخو كرمٍ   منهم ويرجع باقيهم وقد ندموا
فاليوم صاروا يَعُدُّون النَّدَى سرفًا   ويُنكرون على المعطي إذا علموا

فالزم فعل الخير مكانَك ، وأطْعِم البُرَّ إمكانَك ، وأقْرِضْ ربَّك فقد ربَّكْ ، وعاملْ مولاك بما أولاك ، ولا تَرُدَّنّ سائلًا بلا ، فإنه موت عنده بلْ بِلى ، ولا تكُن من البخلاء ، وقانا الله وإياك أدوى داء .

قال ﷺ : « وأيّ داء أدوى من البخل » .

واعلم أخي أنه لا يقول المجد : واطرباه حتى يصيح المال : واحرباه .

هيهات أن يسمن المدحُ حتى يُهزل الكيس .

---

(١) يُضرب مثلًا في سوء اهتمام الرجل بشأن صاحبه .
(٢) أي حَجَر .

يُعنى البخيل بجمع المال مدّته　　وللحوادثِ والوُرَّاثِ ما يَدَعُ
كدودةِ القز ما تبنيه يهدمها　　وغيرها بالذي تبنيه ينتفعُ

قال تعالى : ﴿ **قل إن ربي يَبْسُطُ الرزق لمن يشاء من عباده وَيَقْدِرُ له وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخْلِفُهُ وهو خير الرازقين** ﴾ [سبأ : ٣٩] .

قال ابن كثير : « يخلفه عليكم في الدنيا بالبَدَل ، وفي الآخرة بالجزاء والثواب » .

وروى أحمد والبخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : أنفِقْ أُنفِقْ عليك » .

وقال رسول الله ﷺ : « أنفق يا بلال ، ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالًا »[1] .

وفي رواية : « أنفِقْ بلالا » .

كيف ينقص مُلك هو قَيِّمُه ! أبواب العباد مغلقة ، ومفاتيح الأبواب بيديه ، وبابه مفتوحٌ لمن دعاه ، وفي الحديث القدسي : « يا عبادي ، كُلُّكم جائعٌ إلَّا مَنْ أطعمتُه ، فاستطعموني أُطعمكم ، يا عبادي ، كلُّكم عارٍ إلَّا من كسوتُه ، فاستَكْسُوني أكسكم » .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من يومٍ يُصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدُهما : اللهم أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعطِ

---

(١) صحيح . رواه البزار عن بلال وعن أبي هريرة ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٠٨) ، وتخريج المشكاة رقم (١٨٨٥) . وحسّن إسناده ابن حجر في زوائد البزار ، كما قال المناوي . وحسنه الهيثمي .

مُمسِكًا تَلَفًا »[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدّق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيِّب ، ولا يقبل الله إلا الطَّيِّب ، فإن الله يتقبَّلُها بيمينه ، ثم يُرَبِّيها لصاحِبه ، كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّه[٢] ، حتى تكون مثل الجبل »[٣].

وقال ﷺ : « ما تصـدَّق أحـدٌ بصدقةٍ من طيِّبٍ ، ولا يقبل الله إلا الطّيِّب ، إلَّا أخذها الرحمـٰن بيمينه وإن كانت تمرةً ، فَتَرْبُو في كفِّ الرحمـٰن حتى تكون أَعْظَمَ من الجبل ، كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّه أو فصيلَه »[٤].

وقال ﷺ : « صَنَائِعُ المعروف تقي مَصَارِعَ السُّوءِ والآفاتِ والهَلَكَاتِ ، وأهل المعروف في الدُّنْيا هم أهل المعروف في الآخرة »[٥].

وقال رسول الله ﷺ : « أيُّما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عُرْيٍ ، كساه الله تعالى من خُضر الجنة ، وأيّما مسلم أطعمَ مسلمًا على جوعٍ ، أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيّما مسلمٍ سقى مسلمًا على ظمأٍ ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرَّحِيق المختوم »[٦].

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة ، وأحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء .

(٢) الفَلُوّ : المُهْرُ ؛ لأنه يُفْلَى ؛ أي يُفطَم ، والجمع أفلاء .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، وأحمد .

(٤) رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وأحمد عن أبي هريرة ، وهو صحيح .

(٥) صحيح : رواه الحاكم عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٦٨٩) والصحيحة رقم (١٩٠٨) .

(٦) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري ، وقال المنذري : =

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حُوسب رجلٌ ممن كان قبلكم ، فلم يُوجد له من الخير شيءٌ ، إلَّا أنه كان رَجُلًا مُوسِرًا ، فكان يخالط الناس ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسِر ، فقال الله تعالى : نحن أحقُّ بذلك منه ، تجاوزوا عنه »(١).

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَنْظَرَ معسِرًا ، فله بكلِّ يومٍ مثله صَدَقَةٌ ، قبل أن يحلَّ الدَّيْن ، فإذا حلَّ الدين فأنظره ، فله بكل يومٍ مثلاه صَدَقَةٌ »(٢).

وعن أبي اليسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أَنْظَرَ معسِرًا ، أو وَضَعَ عنه ، أظلَّه الله في ظلِّه يوم لا ظِلّ إلَّا ظِلُّه »(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَعْتَقَ رقبةً مسلمةً ، أعتق اللهُ له بكل عُضْوٍ منها عضوًا من النار ، حتى فَرْجه بِفَرْجِه »(٤).

الجوادُ كريمٌ على الله وعلى الناس :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنَا رجلٌ بِفَلاةٍ من الأرض ، فسمع صوتًا في سَحابةٍ يقول : اسْقِ حديقةَ فُلان ،

= رواه أبو داود والترمذي من رواية أبي خالد بن يزيد الدالاني ، وحديثه حسن . اهـ .

(١) صحيح . رواه الترمذي ، والبخاري في الأدب ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣١٥٤) .

(٢) رواه الشيخان ، وأحمد ، والنسائيُّ .

(٣) رواه مسلم وأحمد .

(٤) رواه الشيخان والترمذي .

فتنحَّى ذلك السحابُ ، فأفْرَغ ماءَه في حَرَّةٍ ، فإذا شَرْجَةٌ من تلك الشِّراج قد استوعبتْ ذلك الماءَ كلَّه ، فتتبَّع الماء ، فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يُحوِّل الماء بِمِسْحاتِهِ ، فقال له : يا عبدَ الله ، ما اسمُك ؟ قال : فلان . للاسم الذي سمع في السحابة . فقال له : يا عبد الله ، لِمَ تسألني عن اسمي ؟ قال : إني سمعتُ صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان ؛ لاسمِك ، فما تصنع فيها ؟ قال : أمّا إذْ قلتَ هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدَّق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثا ، وأرُدّ فيها ثلثًا »[1].

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أقيلوا ذوي الهيئات عَثَرَاتِهِم إلَّا الحدود »[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « تجاوزوا عن ذنب السَّخِيِّ ؛ فإنّ الله آخِذٌ بيده كلَّما عثر »[3].

وقال رسول الله ﷺ : « أَحَبُّ الناس إلى الله أَنْفَعُهُم ، وأحبّ الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تُدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كُربةً ، أو تقضي عنه دَيْنًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولَأَنْ أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ ، أحبُّ إلي من أن أعتكف في المسجد شهرًا ، ومن كفَّ غضبهُ ، ستر الله عورتَهُ ، ومن كَظَم غيظًا ولو شاء أن يُمْضِيَهُ أمضاه ، ملأَ اللهُ

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ، ورواه الطيالسي وابن منده .

(٢) صحيح . رواه أحمد في مسنده ، والبخاري في الأدب ، وأبو داود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٩٦) .

(٣) حسن . رواه الدارقطني في المُسْتجاد من فعلات الأجواد ، والبيهقي في الشعب ، وابن الجوزي في الموضوعات .

قلبَهُ رِضًا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ، أثبت الله تعالى قدمَهُ يوم تَزِلُّ الأقدام ، وإنّ سُوء الخُلُق ليُفسِد العملَ ، كما يُفْسد الخلُّ العَسَلَ »[١].

وقال رسول الله ﷺ : « أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورًا ، أو تقضي عنه دَيْنًا ، أو تُطعمه خُبزًا »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « خيرُ الناس أنْفَعُهم للناس »[٣].

وقال ﷺ : « السّاعِي على الأرْمَلَةِ والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائِم الليلَ الصّائِم النهارَ »[٤].

الْأشعَرِيُّونَ مِنْ رسول الله ﷺ وهو منْهم :

وقال رسول الله ﷺ : « إن الأشعريِّين إذا أرْمَلُوا[٥] في الغزو أوْ قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة ، جعلوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحد ، ثم اقتسموه

---

(١) حسن . رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والطبراني في « الكبير » عن ابن عمر ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٦) .

(٢) حسن . رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والبيهقي في « شعب الإيمان » عن أبي هريرة ، وابن عدي في « الكامل » عن ابن عمر ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٠٩٦) .

(٣) حسن . رواه القضاعي عن جابر ، والطبراني في « الكبير » ، والدارقطني ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ، وابن عساكر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٢٨٩) .

(٤) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي ، والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٥) أي نفد زادهم .

بينهم في إناء واحدٍ بالسَّوِيَّة ، فهم منِّي وأنا منهم »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا خير في مَنْ لا يُضَيِّفُ »[٢] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا حَسَدَ إلَّا في اثنتين : رجل آتاه الله مالًا ، فسلّطه على هَلَكَتِهِ في الحقِّ ، ورجل آتاه الله حِكْمَةً ، فهو يقضي بها ويُعَلِّمها » .

وفي رواية : « لا حسد إلَّا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالًا ، فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النهار » . رواه البخاري ومسلم .

والمراد بالحَسَد هنا : الغِبْطَة ، وهي تمنِّي مثل ما للمغتبط .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أيُّكم مالُ وارِثِهِ أحبُّ إليه من ماله ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، ما منّا أحد إلَّا ماله أحبُّ إليه من مالِ وارثه . قال : « فإنّ مالَهُ ما قدَّم ، ومال وارثه ما أخَّر » . رواه البخاري والنسائي .

وفي الصحيح عند ابن حبان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مَلَكًا بباب من أبواب الجنة يقول : مَنْ يُقْرِض اليوم يُجْزَ غَدًا ، وملكٌ بباب آخر يقول : اللهم أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وأعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى .

(٢) صحيح . رواه أحمد والبيهقي في « شعب الإيمان » والروياني عن عقبة بن عامر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٤٩٢) .

تعالى : يا عبدي أَنْفِق أُنْفِق عليك » . وقال : « يَدُ الله مَلْأَى لا يغيضها نَفَقَةٌ ، سحّاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنْفَقَ منذ خَلَقَ السمٰوات والأرضَ ، فإنه لم يَغِض ما بِيَدِهِ ، وكان عرشه على الماء ، وبيده الأُخرى الميزان ، يخفضُ ويرفعُ » . رواه البخاري ومسلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ قال : أيُّ الإسلام خَيْرٌ ؟ قال : « تُطْعِم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفتَ وَمَنْ لم تعرف »[١].

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اعبدوا الرحمٰن ، وأطعموا الطعام ، وأفشُوا السلام ، تدخُلوا الجنة بسلام »[٢].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة غُرَفًا يُرى ظَاهِرُها من باطِنِها ، وباطنُها من ظاهِرِها ، أعدَّها الله تعالى لمن أطْعَمَ الطعام،وأفشى السلام ، وصلَّى بالليل والناسُ نِيَام »[٣].

وعن حمزة بن صُهيب ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال : قال عمر لصُهَيْب : فيك سَرَفٌ في الطعام ! فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيارُكم مَنْ أطْعَمَ ....

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

(٢) حسن . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب ١ / ٣٩٥ .

(٣) حسن . رواه ابن حبان في « صحيحه ».وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » ١ / ٣٩٦ .

الطعـام »[١].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم ، إنك إن تَبْذُل الفَضْلَ خيرٌ لك ، وإن تُمسِكْه شرٌّ لك ، ولا تُلام على كفافٍ ، وابدأ بِمَنْ تَعُولُ ، واليَدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « أفضلُ الصَّدَقةِ : الصدقة على ذي الرَّحِم الكاشِح »[٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم طلعت شمسُه ، إلَّا وكان بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكان يناديان نداءً يسمعه ما خَلَقَ الله كلّهم غير الثَّقَلَيْن : يَـٰأَيُّهَا الناس ، هَلُمُّوا إلى ربكم : فإن ما قَلَّ وكَفَى ، خيرٌ ممّا كَثُرَ وألْهَى . ولا آبتِ الشمسُ ، إلَّا وكان بجنبتيها ملكان يناديان نداءً يسمعه خَلْقُ الله كلّهم غير الثقليْن : اللهم أعطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وأعطِ مُمْسِكًا تَلَفًا . وأنزل الله في ذلك قرآنًا ؛ في قول المَلَكَيْن : يَـٰأَيُّهَا الناس هَلُمُّوا إلى ربكم في سورة يونس : ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم** ﴾ [يونس : ٢٥] ، وأنزل في قولهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعطِ ممسكًا تلفًا ﴿ **والليل إذا يغشى * والنهار**

---

(١) حسن . رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب « الثواب » وحسّنه الألباني في « صحيح الترغيب » ١ / ٣٩٦ .

(٢) رواه مسلم والترمذي .

(٣) صحيح . رواه أحمد والطبراني في « الكبير » عن أبي أيوب وعن حكيم بن حزام ، ورواه البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد ، والطبراني في الكبير والحاكم عن أم كلثوم بنت عقبة،وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١١٠) .

إذا تجلّى وما خلق الذَّكَرَ والأُنثى ﴾ إلى قوله : ﴿ **لِلعُسْرى** ﴾ »[1].

[الليل : ١ - ١٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَثَلُ البخيل والمُنْفِق كمثل رجُلَيْن عليهما جُنَّتَان من حديدٍ ، من ثُديهما إلى تراقيهما ، فأمّا المنفق فلا يُنفق إلَّا سَبَغَتْ أوْ وَفَرَتْ على جِلْده ، حتى تُخفيَ بَنانَهُ ، وَتَعْفُوَ أثَرَهُ ، وأمّا البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلَّا لزمتْ كلُّ حَلْقةٍ مكانها ، فهو يُوسِّعها فلا تَتَّسِع » . رواه البخاري ومسلم .

فالمنفِق كلَّما أنفق ، اتَّسعَتْ عليه النِّعم وسبغتْ وَوَفَرَتْ ، والبخيل كلّما أراد أن يُنفق ، مَنَعَهُ الشُّحُّ والحِرْصُ وَخَوْفُ النَّقْص ، فهو يمنعه ، ولا تتَّسع عليه النِّعم .

* * *

(١) صحيح . رواه البيهقي وصحَّحه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » ١ / ٣٨٤ - ٣٨٥ .

□ أبو الضِّيفانِ خَلِيلُ الرحمٰن إبراهيمُ عليه السلام □

قال رسول الله ﷺ : « كان أوَّلَ مَنْ أضاف الضَّيْفَ إبراهيمُ »[١] .

قال المناوي : « كان يُسمَّى أبا الضِّيفان ، كان يمشي المِيلَ والمِيلَيْن في طَلَب مَن يتغدَّى معه . وفي الكشَّاف : كان لا يتغدى إلَّا مع ضيف »[٢] .

قال تعالى : ﴿ **هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيم المُكْرَمِينَ إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلامٌ قومٌ مُنْكَرُون فَرَاغَ إلى أهله فجاء بعجلٍ سمينٍ فقرَّبه إليهم قال ألا تأكلون** ﴾ [الذاريات : ٢٤ - ٢٧] .

قال مجاهد : سمَّاهم مكرمين لخِدمة إبراهيم إيَّاهم بنفسه[٣] .

قال الرازيُّ : في « مفاتيح الغيب » (١٤/٥١٠- ٥١٣) : « أُكرِموا إذ دخلوا ، وهذا من شأن الكريم أن يُكرم ضَيْفَهُ وقتَ الدخول . فإن قيل : بماذا أَكْرَمَهُم ؟ **قُلْنا** : ببشاشةِ الوجهِ أوَّلًا ، وبالإجلاس في أحسن المواضع وألطفها ثانيًا ، وتعجيل القِرَى ثالثًا ، وَبُعْد التكليف للضيف بالأكل والجلوس .

ولقد أراد إبراهيم عليه السلام ، أن يردّ عليهم بالأحسن ، فأتى بالجملة الاسمية ؛ فإنها أدلُّ على الدوام والاستمرار ، فلما قالوا : ﴿ **سلامًا** ﴾ ، قال : ﴿ **سلامٌ** ﴾ عليكم مستمرٌّ دائمٌ .

﴿ **فراغ إلى أهله** ﴾ : فأتى بفاء التعقيب ، وهي دالَّةٌ على السرعة » . اهـ .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « قِرى الضيف » عن أبي هريرة .
(٢) فيض القدير ٤ / ٥٤٣ .
(٣) تفسير القرطبي ٩ / ٦٢١٥ .

قال الزَّجّاجُ : عَدَلَ إلى أهله ومال سرًّا وحاد ، أي انطلق إبراهيمُ إلى منزله كالمُسْتَخْفِي من ضيفه ؛ لئلّا يظهروا على ما يريد أن يتَّخِذ لهم من الطعام .

قال الرازيُّ : « إن الرَّوَغان يدلُّ على السُّرعة والرَّواح الخفيِّ ؛ فإن المُضِيف إذا أحضر شيئًا ، ينبغي أن يُخفيه عن الضيف ؛ كي لا يمنعه من الإحضار بنفسه ، حيث راغ هو ولم يقل : هاتوا ، وغيبة المضيف لحظةً من الضيف مُستحسَنٌ ؛ ليستريح ويأتي بدفعْ ما يحتاج إليه ويمنعه الحياءُ منه .

وتعجيل القِرى أيضًا دلّ عليه قولُه تعالى : ﴿ **فما لَبِثَ أن جاء بعجلٍ حَنِيذٍ** ﴾ [هود : ٦٩] .

ثم اختيار الأجْوَد بقوله : ﴿ **سمين** ﴾ .

ثم تقديمُ الطعام إليهم لا نَقْلُهم إلى الطعام ، بقوله : ﴿ **فقَرَّبَهُ إليهم** ﴾ ؛ لأن من قدَّم الطعام إلى قومٍ ؛ يكون كلُّ واحدٍ مستقِرًّا في مقرِّه ، لا يختلف عليه المكان ، فإن نَقَلَهم إلى مكانِ الطعامِ ؛ ربما يحصُل هناك اختلافُ جلوسٍ ، فيقرب الأدنى ويضيق على الأعلى .

ثم العَرْض لا الأمْر ، حيث قال : ﴿ **ألا تأْكُلُون** ﴾ ولم يَقُل : كلوا » . اهـ .

أكْرَمُ الناسِ يوسفُ بن يعقوبَ عليهما السلام :

قال رسول الله ﷺ : « أكرمُ الناس يُوسُفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ »[1] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، ورواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود .

وقال رسـول الله ﷺ : « الكـريمُ ابنُ الكـريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ : يوسفُ بن يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ »[١].

قال المناويُّ في « فيض القدير » (٢ / ٩٠) : « أي أكرمُهم أصلًا يوسفُ ؛ فإنه جَمَعَ شرفَ النُّبُوَّة وشرف النَّسَب ، وكوْنه ابنَ ثلاثةِ أنبياء متناسِقة ، فهو رابع نبيٍّ في نَسَقٍ واحدٍ ، ولم يقع ذلك لغيره ، وضمَّ له **أشرف عِلْم – الرُّؤْيا – ورئاسة الدُّنْيا ، وحِياطَة الرّعِيَّة ، وشَفَقَته عليهم** » .

وقال المناوي : « وأيّ كريمٍ أكْرَم ممَّن حاز – مع كونه ابنَ ثلاثةِ أنبياء مُتَرَاسِلِين – شرفَ النُّبُوَّة وحُسنَ الصورة وَعِلْمَ الرُّؤيا ورئاسةَ الدنيا وحِياطة الرَّعايا في القَحْط والبلاء ! .

قال الشاعر :

إن السَّرِيَّ إذا سَرَى فَبِنَفْسِهِ ۝ وابنُ السَّرِيِّ إذا سَرَى أسْرَاهُمَا »[٢]

كان يوسف – عليه السلام – وهو على خزائن الأرض لا يشبع ، ويقول : أخاف أن أشبع فأنسى الجياعَ .

وقد كان جُود يوسف وكَرَمُه جودَ فتوَّة ، جود صَبْرٍ على شهوات النَّفْس ، وصبر عن المعصية ، وهو جُودُ ساداتِ الرجال .

كان الضَّحَّاك – رحمه الله تعالى – **يقول في قوله تعالى : ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾** قال : « كان إحسان يوسف – عليه الصلاة والسلام – أنّ كُلَّ مَنْ مَرِضَ في السجن ، قام عليه ، وكلّ مَن احتاج ، وسَّعَ عليه . وكان – عليه الصلاة والسلام – إذا لم يجد عنده شيئًا للفقير ، يدور على

(١) رواه البخاري وأحمد عن ابن عمر ، وأحمد عن أبي هريرة .
(٢) فيض القدير ٥ / ٦٤ .

الأبواب يسأل له الناس »[١].

جُودُ رسول الله ﷺ :

عن أنسٍ رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ أحْسَنَ الناس ، وأجْوَد الناس ، وأشْجَعَ الناس »[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجْوَد الناس ، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضان ، فيُدارِسه القرآن ، فَلَرَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجْوَد بالخير من الرِّيح المُرسَلَة »[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال : « ما سُئِلَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن شيءٍ قطُّ فقال : لا » . رواه البخاري .

وعن أنس بن مالك ، رضي الله عنه : « كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدَّخِر شيئًا لغدٍ »[٤].

وعن عبد الله بن بسرٍ قال : « كان للنبي ﷺ قصعةٌ يُقال لها : الغراء ، يحملها أربعة رجال »[٥].

---

(١) تنبيه المُغترِّين للشعراني صـ ٩١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والدارمي وابن سعد .

(٤) صحيح . رواه الترمذي عن أنس ، وابن حبان وصحّحه ، والبيهقي في « سننه » والخطيب ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٨٤٦) .

(٥) صحيح . رواه أبو داود في « سننه » ، وأبو الشيخ ، وابن عساكر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٨٣٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يجتمع عنده غداءٌ ولا عشاءٌ من خُبزٍ ولا لحمٍ إلَّا على ضَفَفٍ »(١).

وعن سهل بن سعد قال : جاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ ببُرْدة فقالت : يا رسول الله : أكْسُوك هذه . فأخذها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم محتاجًا إليها ، فَلَبِسَهَا ، فرآها عليه رجلٌ من الصحابة ، فقال : يا رسول الله ، ما أحْسَنَ هذه ، فاكْسُنِيهَا . فقال : « نعم » . فلمّا قام النبي ﷺ ، لامَهُ أصحابه فقالوا : ما أحسنْتَ حين رأيتَ النبي ﷺ أخَذَهَا مُحتاجًا إليها ، ثم سألتَهُ إياها ، وقد عرفتَ أنه لا يُسْأَل شيئًا فيمنعه . فقال : رجوتُ بَرَكَتَهَا حين لَبِسها النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ لَعَلِّي أُكَفَّن فيها . رواه البخاريُّ .

وأتاه رجلٌ فسأله ، فأعطاه غنما سدَّتْ ما بين جبلين ، فرجع إلى قومه وقال : أسلموا ، فإن محمدًا يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر .

وأُتي بمال من البحرين فقال : انثُروه في المسجد ، وكان أكثر مالٍ أُتي به ، فخرج إلى الصلاة ، ولم يلتفت إليه ، فلمّا قَضَى الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحدًا إلَّا أعطاه ، وما قام وثَمَّ منها درهم .

وكان جوده ﷺ بجميع أنواع الجُود من بذْل العلم والمال ، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده ، وإيصال النفع إليهم بكل طريق ، من إطعام جائعهم ، ووعْظ جاهِلِهم ، وقضاءِ حوائجهم ، وتحمُّل أثقالهم ، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نَشَأ ، ولهذا قالت

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه أحمد وابن حبان وابن سعد ، وقال الألباني في « مختصر الشمائل » : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

له خديجةُ في أوَّل مبعثه : والله لا يُخزيك الله أبدًا ، إنك لَتَصِلُ الرَّحِم ، وتَقْرِي الضَّيف ، وتحمل الكلَّ ، وتَكْسِب المعدومَ ، وتُعين على نوائب الحق . ثم تزايدت هذه الخصالُ فيه بعد البعثة ، وتضاعفتْ أضعافًا كثيرة .

وفي صحيح مسلم ، عن أنس رضي الله عنه قال : ما سُئِلَ رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلَّا أعطاه ، فجاء رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم ، أسلموا فإن محمدًا يُعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

قال أنس : إنْ كان الرجل ليُسلم ما يريد إلَّا الدنيا ، فما يُمسي حتى يكون الإسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها .

وفي صحيح مسلم عن صفوان بن أُمية رضي الله عنه : لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما **أعطاني** وإنه لَمِن أبغض الناس إليَّ ، فما برح يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ .

قال ابن شهاب : أعطاه يومَ حُنين مائة من النَّعَم ثم مائة ثم مائة .

وفي مغازي الواقدي : أن النبي ﷺ أعطى صفوان يومئذٍ واديًا مملوءًا إبلًا ونَعَمًا ، فقال صفوان : أشهدُ ما طابتْ بهذا إلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ .

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم : أن الأعراب علقوا بالنبي ﷺ مَرْجِعَهُ من حُنَيْن ، يسألونه أن يقسم بينهم فقال : « **لو كان لي عَدَدُ هذه العَضَاةِ نَعَمًا ، لقَسمتُه بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلًا ، ولا كذوبًا ، ولا جبانًا** » .

وفيهما عن جابر أنه ﷺ قال له : « لَو جاءنا مالُ البحرين ، لقد أعطيتُك هكذا وهكذا وهكذا » وقال بيديه جميعًا .

وكان جوده ﷺ كلّه لله ، وفي ابتغاء مرضاته ، فإنه كان يبذل

المال إمّا لفقيرٍ ، أو محتاج ، أو ينفقه في سبيل الله ، أو يتألّف به على الإسلام مَنْ يَقْوَى الإسلام بإسلامه ، وكان يُؤثر على نفسه وأهله وأولاده ، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوكُ مثل كسرى وقيصر ، ويعيش في نفسه عيش الفقراء ، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يُوقَد في بيته نار ، وربَّما رَبَطَ على بطنه الحَجَرَ من الجوع ، وكان قد أتاه صبيٌّ مرةً فشكتْ إليه فاطمةُ ما تَلْقَى من خدمة البيت ، وطلبت منه خادمًا يكفيها مُؤْنَة بيتها ، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها ، وقال : « لا أُعطيك وأَدَع أهل الصُّفَّة تَطْوَى بطونُهم من الجوع » .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « إني لَأَلِج هذه الغُرفةَ ما ألجها إلَّا خشية أن يكون فيها مالٌ ، فأَتَوَفَّى ولم أُنفقه »[1].

وعن أبي ذرٍّ ، أن النبي ﷺ التفت إلى أُحُدٍ فقال : « والذي نفسي بيده ، ما يَسُرُّني أن أُحُدًا تحوَّل لآلِ محمدٍ ذهبًا ، أُنفقه في سبيل الله ، أموتُ يومَ أموتُ أدَعُ منه دينارين ، إلَّا دينارين أُعدُّهما للدَّيْن إنْ كان »[2].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : كانت عند رسول الله ﷺ سبعة دنانير وَضَعَهَا عند عائشة ، فلمّا كان عند مرضه قال : « يا عائشة ، ابعثي بالذهب إلى عليّ » . ثم أُغمي عليه ، وشَغَلَ عائشةَ ما به ، حتى قال ذلك مرارًا . كلّ ذلك يُغمى على رسول الله ﷺ ، ويشغل عائشةَ ما به ، فبعث إلى عليٍّ فتصدَّق بها ، وأمسى رسول الله ﷺ ليلة الإثنين

(١) حسن . رواه الطبراني في « الكبير » ، وحسّنه المنذريُّ والألبانيُّ .

(٢) حسن . رواه أحمد وأبو يعلى ، وقال المنذري : وإسناد أحمد جيد قوي ، وحسَّنه الألباني في « صحيح الترغيب » ١ / ٣٩١ .

في جديد الموت ، فأرسلت عائشةُ بمصباح لها إلى امرأةٍ من نسائها ، فقالت : أهدِي لنا في مصباحنا من عُكّتك السَّمْن ، فإن رسول الله ﷺ أمسى في جديد الموت[١].

وكان رسول الله ﷺ أجْوَد ما يكون حين يلقى جبريل ، ولا شكَّ أن المخالطة تُؤثِّر وتُورث أخلاقًا من المخالطة . كان بعض الشعراء قد امتدح ملكًا جوادًا ، فأعطاه جائزة سَنِيَّةً ، فخرج بها من عنده وفرَّقها كلها على الناس وأنشد :

لَمَسْتُ بكفِّي كَفَّهُ أبتغي الغِنَى ... ولم أدْرِ أن الجُودَ من كَفِّهِ يُعدِي

فبلغ ذلِك الملكَ ، فأضعفَ له الجائزةَ .

وقد قال بعضُ الشعراء يمتدح بعضَ الأجواد - ولا يصلحُ أن يكون ذلك إلَّا لرسول الله ﷺ - :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتى لَو انَّهُ ... ثَناها لِقَبْضٍ لم تُجِبْهُ أنامِلُهْ

تَـرَاهُ إذا مـا جِئْتَـهُ مُتَهَـلِّلًا ... كَأَنَّكَ تُعطيه الذي أنتَ سائِلُهْ

هو البَحْرُ من أيِّ النَّواحي أتيتَهُ ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِلُهْ

ولو لم يَكُن في كَفِّهِ غيرُ رُوحِهِ ... لَجَـادَ بِهَـا فَلْيَتَّـقِ اللهَ سَـائِلُهْ

أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما نَفَعَنِي مالٌ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ » فبكى أبو بكرٍ وقال : هل أنا ومالي إلَّا لك يا ....

---

(١) صحيح . رواه الطبراني في « الكبير » ، وقال المنذري : ورواته ثقات محتجٌّ بهم في « الصحيح » ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » ١ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .

رسول الله[(١)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ أنْفَقَ زوجًا - أو قال : زوجين - من ماله - أراه قال : - في سبيل الله ، دَعَتْهُ خَزَنَةُ الجنَّة : يا مسلم هذا خيرٌ ، هَلُمَّ إليه » . فقال أبو بكر : هذا رَجُلٌ لا تودى عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما نفعني مالٌ قطُّ إلّا مال أبي بكرٍ » . قال : فبكى أبو بكر وقال : وهل نفعني الله إلّا بك ، وهل نفعني الله إلّا بك ، وهل نفعني الله إلّا بك[(٢)].

وقال عمر بن الخطاب : أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يومًا أن نتصدَّق فوافَقَ ذلك مالًا عندي،فقلتُ : اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ ، إن سبقتُه يومًا . فجئتُ بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أبقيتَ لأهلك ؟ » . فقلتُ : مِثْله . قال : وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أبقيتَ لأهلك ؟ » . قال : أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَهُ : قلتُ : لا أُسَابِقُكَ إلى شيءٍ أبدًا[(٣)].

لمَّا طُبِعَ رسولُ الله ﷺ على أشرف الخلائق كان منها الكَرَم ، فأعطى غَنَمًا بين جَبَلَيْن ، فلمَّا سار في فيافي الجُود ، تَبِعَهُ صديقُه فجاء بكلِّ ماله .

سَبَقَ النَّاسَ إليها صَفْقَةً   لم يَعُدْ رائدُها عنها بِغَبَنْ

---

(١) صحيح . رواه ابن ماجه وأحمد ، وابن أبي عاصم في « السنة » ، وابن حبان ، وابن أبي شيبة في « المصنف » ، والنسائي في « فضائل الصحابة » .

(٢) صحيح . أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » .

(٣) حسن . أخرجه الترمذي والدارمي وابن أبي عاصم وعَبْدُ بن حميد في « المنتخب » .

هِـزَّةٌ للجُـودِ صـارتْ نَشْـوَةً لم يُكَـدِّرْ عندَهـا العُـرْفُ بِمَـنّْ
طَلَبُـوا الشَّـاءَ فـوافَى سَابِقـًا جَرَعَ غبَّرَ في وَجْهِ المَشَنّ[١]

عن جابرٍ قال : قال عمر : أبو بكرٍ سَيِّدُنا ، وأعْتَقَ سيِّدَنا . يعني بلالًا[٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أعتق أبو بكرٍ - رضي الله عنه - سبعةً ممَّن كان يُعذَّب في الله عز وجلّ ، منهم بلال وعامر بن فهيرة[٣] .

أبو بكـرٍ حَبَـا[٤] في الله مـالا وأعْتَـقَ فـي محبَّتِـهِ بِـلالَا
وقـد وَاسَـى النبيَّ بكـلِّ فَضْـلٍ وأسْـرَعَ في إجابتِـهِ بـلا : لا
لـو انَّ البَحْـرَ يقصُـدُه ببعـضٍ لَمَـا تَـرَكَ الإلٰـهُ بـه بِـلالا

ومن الأجواد عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه :

قال الأعمش : كنتُ يومًا عنده ، فأُتي باثنين وعشرين ألف درهم ، فلم يقُم من مجلسه حتى يفرّقها ، وكان إذا أعجبه شيءٌ من ماله تصدّق به ، وكان كثيرًا ما يتصدّق بالسُّكَّر ، فقيل له في ذلك فقال : إني أُحِبّه ، وقد قال تعالى : ﴿ **لن تنالوا البِرَّ حتى تُنفقوا مما تُحِبُّون** ﴾ . [آل عمران : ٩٢][٥] .

وقال مجاهد : كتب عمرُ بن الخطاب إلى أبي موسى أن يبتاع له جاريةً

---

(١) جَرَعَ : بلعَ . والمشن : حلب ما في الضرع .
(٢) موقوف صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، ورواه البخاري معلَّقًا .
(٣) موقوف صحيح . أخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .
(٤) أعتق .
(٥) الدُّرّ المنضود في ذَمّ البُخل ومَدْح الجُود لعبد الرؤوف المناوي صـ ٦٤ - دار الصحابة بطنطا .

من سَبْي جلولاء ، ففعل ، فدعاها عمرُ فأعتقها ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **لن تنالوا البرّ حتى تُنفقوا مما تحبُّون** ﴾ .

عثمان رضي الله عنه :

عن أبي عبد الرحمن أن عثمان - رضي الله عنه - حين حُوصِر ، أشْرَفَ عليهم وقال : أنْشُدُكم الله ، ولا أنشُدُ إلّا أصحاب النبي ﷺ : ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَفَرَ رُومة فلة الجنة » . فحفرتُها ؟ ألستم تعلمون أنه قال : « مَنْ جَهَّزَ جيشَ العُسرة فله الجنة » . فجهَّزْتُه ؟ قال : فصدَّقوه بما قال[1].

اشترى عثمان - رضي الله عنه - بئر رُومَةَ بأربعين ألف درهم ، وأنْفَقَ في جيش العُسرة عشرة آلافِ درهمٍ .

عن عبد الله قال : رأى رسول الله ﷺ عثمان بن عفان يوم جيش العُسرة جائيا وذاهبًا ، فقال : « اللهم اغْفِرْ لعثمان ما أقْبَلَ وما أدْبَرَ ، وما أخْفَى وما أعْلَنَ ، وما أسرَّ وما أجْهَرَ »[2].

وأخرج المناوي في « الدر المنضود » : أنه « أصاب الناس قحطٌ في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فلمّا اشتدَّ بهم الأمرُ ، جاءوا إلى أبي بكر الصديق وقالوا : يا خليفة رسول الله ﷺ ، إن السماء لم تمطر ، والأرض لم تنبت ، وقد توقَّع الناسُ الهلاك ، فما تصنعُ ، فقال : انصرِفُوا واصبروا ، فإني أرجو الله ألَّا تُمسوا حتى يفرّج الله عنكم . فلمَّا أصبحوا خرجوا يتلقَّوْنها ، فإذا هي ألف بعيرٍ موثوقة بُرًّا وزيتًا ودقيقًا ، فأناختْ بباب

(١) صحيح بشواهده . ذكره البخاري معلّقًا ، ورُوي موصولًا عند الدارقطني والإسماعيلي .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » وسنده جيد .

عثمان رضي الله عنه ، فجعلها في داره ، فجاء إليه التجارُ ، فقال : ما ترون ؟ قالوا : إنك لتعلمُ ما نريد . فقال : كم تُرْبحُوني ؟ قالوا : اللهم درهمين . قال : أُعطِيتُ زيادةً على هذا . قالوا : أربعة . قال : أُعطِيتُ أكثر . قالوا : خمسة . قال : أُعطيت أكثر . قالوا : ليس في المدينة تُجّار غيرنا ، فمن الذي أعطاك ؟ قال : إن الله أعطاني بكل درهمٍ عشرة دراهم ، أعندكم زيادة؟ قالوا : لا . قال : فإني أُشْهِدُكم الله تعالى ، أني جعلتُ ما حملتِ العِيرُ صدقةً لله على الفقراء والمساكين »[1].

« يُروى : أنه كان لعثمان بن عفان على طلحةَ بنِ عُبيد اللهِ - رضوان الله عليهما - خمسون ألف درهم ، فخرج عثمان يومًا إلى المسجد ، فقال له طلحة : قد تهيَّأ مالُك فاقبِضْهُ . فقال له عثمانُ رضي الله عنه : هو لك يا أبا محمد معونة على مروءتك »[2].

عبد الرحمٰن بن عوف :

عن المسور بن مخرمة ، أن عبد الرحمٰن بن عوف باع كديمته من عثمان بأربعين ألف دينار ، فأمر عثمانُ بن عفان عبدَ الله بنَ أبي سرحٍ فأعطاه الثمن ، فقسَّمه بين بني زهرة وفقراء المسلمين وأزواج رسول الله ﷺ . قال المسور : فأتيتُ عائشة - رضي الله عنها - بنصيبها ، فقالت : ما هذا ؟ فقلت : بعث به عبدُ الرحمٰن . فقالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يَحْنُو عليكُنَّ بَعْدِي إلَّا الصَّابرون » سقى اللهُ ابنَ عوفٍ من سلسبيل الجنة[3].

---

(١) الدر المنضود صـ ٦٦ .

(٢) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ صـ ١٢٧ .

(٣) صحيح . قال الترمذي : حسن صحيح . وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وله شواهد من حديث =

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُكم خيركم لأهلي من بعدي » . قال : فباع عبدُ الرحمـٰن بن عوف حديقةً بأربعمائة ألفٍ ، فقسمها في أزواج النبي ﷺ[1] .

الزُّبير بن العَوَّام :

قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١ / ٥٥ - ٥٦) : « قال مغيثُ بن سُمَيٍّ : كان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدُّون إليه الخراج ، فلا يُدخل بيته من خراجهم شيئًا .

رواه سعيد بن عبد العزيز نحوه وزاد : بل يتصدَّق بها كلّها » .

طَلْحَةُ الفَيَّاضُ ، طلحةُ الجُودِ ، طلحةُ الخيرِ ، أبو محمد طلحةُ بن عُبَيْد الله رضي الله عنه ، أحَدُ العشرة المبشَّرين بالجنة :

عن سُعدى بنت عوف المريّ قالت : دخل عليَّ طلحةُ ذات يوم وهو خَاثِرُ النَّفْس[2] ، فقلتُ : مالي أراك كالح الوجهِ ، ما شأنُك ، أرَابَكَ مني فأُعْتِبك ؟ قال : لا ، ولنِعْمَ حليلة المرء المسلمِ أنتِ . قلتُ : فما شأنُك ؟ قال : المال الذي عندي قد كَثُر وأكْرَبَنِي . قالت : فقسَّمه حتى ما بقي منه درهم واحد . قالت سُعدى : فسألت خازن طلحةَ : كم كان المال ؟ قال : أربعمائة ألف[3] . قال سفيان بن عيينة : وكانت غلَّة طلحة كلّ يومٍ ألفًا وافيًا .

= أم سلمة والمقداد وأبي هريرة .

والكديمة : اسم مكان لموضع كان فيه سهم عبد الرحمن رضي الله عنه من منازل بني النضير .

(١) حسن لشواهده . أخرجه ابن أبي عاصم في السنة .

(٢) أي غير نشيط .

(٣) صحيح . رواه أبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر ، وأحمد في الزهد .

وفي رواية سفيان : « فقال : اجتمع عندي مالٌ فقد غمَّني ! قلتُ : وما يَغُمُّك ؟! ادْعُ قومَك . قال : يا غلام ، عليَّ بقومي . فقسمه فيهم ... » . وقد تكرَّر ذلك من طلحة .

وصحَّ عن الحسن البصري - رحمه الله - أنه قال : باع طلحةُ أرضًا له بسبعمائة ألف ، فبات ذلك المال عنده ليلةً ، فبات أرِقًا من مخافة المال ، حتى أصبح ففرَّقه[1] .

وعند ابن سعد عن الحسن به ، وفيه : « قال طلحة : إن رجلًا تبيتُ هذه عنده في بيته لا يدري ما يطرقُه من أمر الله ، لغريرٌ بالله . فبات ورسله تختلف بها في سِكَكِ المدينة ، حتى أسْحَرَ وما عنده منها درهم » .

وصح عن محمد بن عمران التيمي ، عن سُعدى قالت : لقد تصدَّق طلحةُ يومًا بمائة ألف درهم ، ثم حَبَسَهُ عن الرَّواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه[2] .

وعن سلمة بن الأكوع قال : ابتاع طلحة بئرًا في ناحية الجبل ، ونحر جزورًا ، فأطعمَ الناسَ ، فقال رسول الله ﷺ : « أنت يا طلحةُ الفيَّاضُ »[3] .

وعن موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة بن عبيد الله ، أنه أتاه مالٌ

---

(١) الحسن عن طلحة منقطع .

(٢) محمد بن عمران منقطع عن سُعدى .

(٣) محتمل . رواه ابن عساكر ، وابن عدي ، والطبراني ، وأبو نعيم في « الصحابة » ، والدارقطني في « المستجاد من فعلات الأجواد » . وقد صحَّ عن ابن عيينة - وهو من أتباع التابعين - قال : كان أهل طلحة يقولون : سمّاه رسول الله ﷺ « الفيّاض » .

من حضرموت سبعمائة ألف . قال : فبات ليلته يتململ . فقالت له زوجتُه : يا أبا محمد ، ما لي أراك منذ الليلة تتململ ؟ أرابك منّا أمرٌ فنُعْتِبك . قال : لعمري لنِعْمَ زوجة المرء أنتِ ، ولكنْ تفكَّرتُ منذ الليلة ، فقلتُ : ما ظن رجلٍ بربِّه عز وجل ، يَبيتُ وهذا المال في بيته ؟ قالت : فأين أنت عن بعض أخلاقك ؟ قال : وما هو ؟ قالت : إذا أصبحت دعوتَ بجفانٍ وقِصاعٍ ، فقسمته على بيوت المهاجرين والأنصار على قَدْرِ منازلهم . قال : فقال لها : يرحمك الله تعالى ، إنك ما علمتُ موفَّقة بنت موفَّق . وهي أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه . فلمَّا أصبح دعا بجفانٍ وقِصاعٍ ، فقسمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى عليٍّ بن أبي طالبٍ منها بجفنة ، فقالت له زوجته : يا أبا محمدٍ ، أما كان لنا في هذا المال من نصيبٍ ؟ قال : فأين كُنتِ منذ اليوم ؟ فشأنك ما بقي . قالت : فكانت صرَّة فيها نحوٌ من ألف درهم[(١)] .

وعن قبيصة بن جابر قال : صحبتُ طلحة ، فما رأيت أعْطَى لجزيلِ مالٍ مِن غير مسألة منه[(٢)] .

عَلَم المجاهدين ، أبو المساكين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما احْتَذَى النِّعال ، ولا رَكِب المطايا بعدَ رسول الله ﷺ أفْضَلَ من جعفر بن أبي طالب »[(٣)] . يعني في الجُود والكرم .

---

(١) حسن . رواه الدارقطني في « المستجاد » وابن عساكر . ولا يمتنع أن تكون كلتاهما « أم كلثوم ، وسُعدى » قد قالت ذلك وكانتا زوجتيه .

(٢) صحيح . رواه الدارقطني في « المستجاد » وابن عساكر .

(٣) إسناده جيد . أخرجه أحمد ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، والذهبي في « السير » .

وعن أبي هريرة قال : كُنَّا نُسمِّي جعفرًا أبا المساكِين . كان يذهب بنا إلى بيته ، فإذا لم يجد لنا شيئًا ، أخرج إلينا عُكَّة أثَرُهَا عَسَل ، فنشُقّها ونَلْعَقها[1] .

وعند البخاري عن أبي هريرة : « وكان أخْيَرَ الناس للمساكين جعفر ابن أبي طالب ، كان ينقلب بنا فيُطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخرِج إلينا العكَّة التي ليس فيها شيءٌ ، فيشقها ، فَنَلْعَقُ ما فيهَا » .

ومن الأجواد : عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

« عن حبيب بن أبي ثابت قال : قدم أبو أيوب الأنصاري البصرةَ ، ونزل على ابن عباس ففرَّغ له بيتَهُ الذي كان فيه ، وقال : لأَصْنَعَنَّ بك كما صنعت برسول الله ﷺ . وقال : كم عليك من الدَّيْن ؟ قال : عشرون ألفًا . فأعطاه أربعين ألفًا ، وعشرين مملوكًا وقال : لك ما في البيت كلّه »[2] .

واجتمع إليه قُرَّاء البصرة حين كان عامِلَها وقالوا : لنا جارٌ صوَّامٌ قوَّامٌ ، زوَّج بنتَهُ من ابن أخيه ، وليس عنده ما يُجهِّزها به . فأَدْخَلَهُم دارَهُ ، وأخرجَ لهم سبعة بِدَرٍ ، فحملوها ، فقال ابن عباس : ما أنصفناه ، أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ، ارجعوا ، ولنكُن أعوانَهُ على تجهيزها ، فليستِ الدُّنيا بقدرٍ حتى تشغله عن عبادة ربِّه . فَفَعَلَ وفَعَلُوا .

وكان هو والناس في ماله سواء ، من سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتداه .

* * *

---

(١) إسناده حسن . رواه الذهبي في السير ٢ / ٢١٧ . والعُكّة : ظرف السمن .

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١١٥ - مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال : أعطى ابنُ جعفرٍ عبدَ الله ابنَ عمر بنافعٍ عشرة آلاف أو ألف دينار ، فدخل عبد الله على صفيَّة ، فقال لها : إنه أعطاني ابن جعفر بنافعٍ عشرة آلاف أو ألف دينار . فقالت : يا أبا عبد الرحمٰن ، فما تنتظر أن تبيعه ؟ فقال : فهلَّا ما هو خيرٌ من ذلك ، هو لوجه الله . قال أبي : فكان يخيَّل إليَّ أن عبد الله بن عمر كان ينوي قولَ الله عز وجـل : ﴿ **لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقـوا ممّا تُحِبُّون** ﴾ [آل عمران : ٩٢][1] .

وعن نافعٍ قال : دخلتُ مع مولاي على عبد الله بن جعفر ، فأعطاه بي اثْنَيْ عشر ألفًا ، فأبى ، وأعتقني ، أعتقَهُ الله من النار .

عن نافع قال : ما مات ابنُ عمر حتى أعتق ألفَ إنسانٍ ، أو زادَ[2] .

وعن نافعٍ قال : كان ابن عمر إذا اشتدَّ عجبه بشيءٍ من ماله ، قرَّبه لربِّه عز وجلّ .

قال نافع : كان بعض رقيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمَّر أحدهُم فلزم المسجدَ ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة ، أعتقَهُ ، فيقول له أصحـابُه : يا أبا عبد الرحمٰن ، والله ما بهم إلَّا أن يخدعـوك ! فيقـول ابن عمر : فمن خَدَعَنَا بالله انْخَدَعْنَا له !

قال نافع : فلقد رأيتُنا ذات عشيَّةٍ ، وراح ابنُ عمر على نجيبٍ له قد

---

(١) صحيح . رواه ابن عساكر ، وأحمد في « الزهد » وأبو نعيم . وصفية هي بنت عبيد امرأة عبد الله بن عمر .

(٢) قال الذهبي في « السير » ٣ / ٢١٨ - ٢١٩ : إسنادها صحيح .

أَخَذَه بمال ، فلمَّا أعجبه سَيْرُه ، أناخه بمكانه ثم نزل عنه وقال : يا نافع ، انزعوا زمامَه ورَحْلَه ، وجَلِّلُوه وأشعِروه ، وأدخِلُوه في البُدْن[1] .

وعن ابن عمر : خطرتْ هذه الآيةُ ببالي : ﴿ **لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا ممّا تُحِبُّون** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، ففكَّرتُ فيما أعطاني الله عز وجل ، فما وجدتُ شيئًا أحبَّ إليَّ من جاريتي رميثة ، فقلت : هي حُرَّة لوجه الله ، فلولا أني لا أعود في شيءٍ جعلتُه لله ، لَنَكَحْتُهَا . فأَنْكَحَهَا نافِعًا ، فهي أُمُّ وَلَدِهِ[2] .

عن محمد بن زيد ، أن ابن عمر كاتَبَ غلامًا له بأربعين ألفًا ، فخرج إلى الكوفة ، فكان يعمل على حمرٍ له ، حتى أدَّى خمسة عشر ألفًا ، فجاءه إنسان ، فقال : أمجنون.أنت ؟ أنت هاهنا تعذِّب نفسك ، وابن عمر يشتري الرقيقَ يمينًا وشمالًا ، ثم يُعتقهم ؛ ارجع إليه فَقُلْ : عجزتُ . فجاء إليه بصحيفة ، فقال : يا أبا عبد الرحمٰن ، قد عجزتُ ، وهذه صحيفتي ، فامْحُها . فقال : لا ، ولكن امحُها أنتَ إن شئتَ . فمحاها ، ففاضتْ عينا عبد الله ، وقال : اذهب فأنت حُرٌّ . قال : أصلحك اللهُ ، أحسن إلى ابْنَيَّ . قال : هما حُرَّانِ . قال : أصلحك الله ، أحسن إلى أُمَّيْ وَلَدَيَّ . قال : هما حُرَّتان[3] .

وعن نافع قال : أُتِي ابنُ عمر ببضعة وعشرين ألفًا ، فما قام حتى أعطاها[4] .

---

(١) التبصرة ٢ / ٢٥٥ ، والسير ٣ / ٢١٧ ، والحلية ١ / ٢٩٥ .
(٢) التبصرة لابن الجوزي ٢ / ٢٥٥ .
(٣) رجاله ثقات . رواه الذهبي في « السير » ٣ / ٢١٧ .
(٤) الحلية ١ / ٢٩٦ .

وقال أيوب بن وائل : أُتي ابن عمر بعشرة آلاف ، ففرّقها ، وأصبح يطلب لراحلته عَلَفًا بدرهمٍ نسيئة .

وعن نافع : بعث معاويةُ إلى ابن عمر بمائة ألف ، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء .

وعن نافع : إن كان ابن عمر ليُفرِّق في المجلس ثلاثين ألفًا ، ثم يأتي عليه شهرٌ ما يأكل مُزْعَةَ لحمٍ[١]. واشتهى في مرضه إن يأكل حُوتًا ، ومرةً أخرى اشتهى عنبًا ، فلما جيء به إليه تصدَّق به[٢].

عن نافع قال : مرض ابن عمر ، فاشتهى عنبًا أول ما جاء ، فأرسلت امرأته بدرهم فاشترت به عنقودًا ، فاتَّبع الرسولَ سائلٌ ، فلما دخل قال : السائل ، السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه . ثم بعثت بدرهم آخر ، قال : فاتبعه السائل ، فلما دخل قال : السائل ، السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه.فأعطوه ، وأرسلت صفية إلى السائل تقول : والله لئن عُدتَ لا تصيب مني خيرًا ، ثم أرسلت بدرهم آخر ، فاشترت به[٣].

سيد الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه :

الصحابي الجليل ، والسيد الكبير ، النقيب الأنصاري أبو قيس .

عن ابن سيرين : كان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصُّفَّة يعشِّيهم .

---

(١) رجاله رجال الصحيح . أخرجه في « الحلية » ١ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ . والمُزْعَة : القِطعة اليسيرة من اللحم .

(٢) رواه أبو نعيم ١ / ٢٩٧ - ٢٩٨ ، وابن عساكر . والحوت يعني السمك .

(٣) رجاله ثقات ؛ أخرجه الذهبي في « السير » ، وأخرجه بنحوه ابن سعد ٤ / ١٥٨ .

وكان سعد ينادي على أُطمهم : من أحبَّ الشَّحم واللحم فليأتِ أُطُم دُليم بن حارثة[١].

وعن عروة بن الزبير قال : كان منادي سعد بن عبادة ينادي على أطمه[٢] : من كان يريد شحمًا ولحمًا فليأتِ سعدًا . وكان سعد يقول : اللهم هب لي حمدًا ، وهب لي مجدًا ، لا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمالٍ ، اللهم إنه لا يصلحني القليل ، ولا أصلح عليه[٣].

قيس بن سعد بن عبادة ، الأمير المجاهد أبو عبد الله سيد الخزرج وابن سيدهم :

قال الذهبي في السير : وَجُودُ قيسٍ يُضرب به المثل .

قال الواقدي : حدَّثنا داود بن قيس ومالك وطائفة قالوا : بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في سرية فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلاثمائة ، إلى ساحل البحر إلى حيّ من جُهَيْنة ، فأصابهم جوعٌ شديد ، فأمر أبو عبيدة بالزاد فجمع حتى كانوا يقتسمون التمرة ؛ فقال قيس بن سعد : من يشتري مني تمرًا بجزر ؟ يوفيني الجزر هاهنا ، وأوفيه التمر بالمدينة ، فجعل عمر يقول : يا عجبًا لهذا الغلام ، يدين في مال غيره ! فوجد رجلًا من جُهَينة فساومه ، فقال : ما أعرفك . قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم ، فقال : ما أعرَفَني بنسبك ، أما إن بيني وبين سعد خلة ، سيد أهل يثرب . فابتاع منه خمس جزائر ، كل جزور بوسق من تمر ، وأشهد له نفرًا ، فقال عمر : لا أشهد ، هذا يدين ولا مال له ، إنما المال لأبيه . **فقال الجهني :**

---

(١) سير أعلام النبلاء ١ / ٢٧٦ .

(٢) الأطم : الحصن .

(٣) صحيح عن عروة .

والله ما كان سعد ليُخْني بابنه في شِقَّةٍ من تمرٍ ، وأرى وجهًا حسنًا . فنحرها لهم في ثلاثة مواطن ، فلما كان في اليوم الرابع نهاه أميره ، وقال : تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك ؟! قال : فحدثني محمد بن يحيى بن سهل عن أبيه عن رافع بن خديج قال : بلغ سعدًا ما أصاب القوم من المجاعة فقال : إن يكُ قيس كما أعرف فسوف ينحر للقوم ، فلما قدم قصَّ على أبيه ، وكيف منعوه آخر شيءٍ من النحر ، فكتب له أربع حوائط ، أدنى حائط منها يُجَدُّ خمسين وسقًا . فقيل : إن النبي ﷺ لما بلغه قال : « أما إنه في بيت جُودٍ » .

قال أبو عاصم : حدثنا جويرية قال : كان قيس يستدين ويطعم ، فقال أبو بكر وعمر : إن تركنا هذا الفتى أهلكَ مالَ أبيه ، فمشيَا في الناس ، فقام سعد عند النبي ﷺ وقال : من يُعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب يُبَخِّلان عليَّ أبي .

وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلَّا وَشِيجُهُ ... ويُزرَعُ إلا في مَنابِتِهِ النَّخْـلُ

وروى عمرو بن دينار ، سمع أبا صالح السّمان يذكر أن قيس بن سعد نحر لهم - يعني في تلك الغزوة - عدة جزائر ، وهذه الغزوة هي سرية الخبط ، أو غزوة سيف البحر[1] . قال الذهبي في « السير » (٣ / ١٠٤) : وقد جوَّدَ ابنُ عساكر طرقه .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعثهم في بعْثٍ ، عليهم قيس بن سعد بن عبادة ، فجهدوا ، فنحر لهم قيس بن سعد تسع ركائب . قال عمرو في حديثه : فقال رسول الله ﷺ : « إن الجود لمن شيمة أهل ....

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠٥ - ١٠٦ ، وتاريخ ابن عساكر .

ذلك البيت »[١].

وعن يحيى بن سعيد قال : كان قيس بن سعد يُطعم الناس في أسفاره مع النبي ﷺ وكان إذا نفد ما معه تديَّن ، وكان يُنادي في كل يوم : هلموا إلى اللحم والثَّريد[٢].

قال ابن سيرين : كان سعد ينادي على أطمه : من أحبَّ شحمًا ولحمًا فليأت ، ثم أدركتُ ابنه مثل ذلك[٣].

وقيل : وَقَفتْ على قيس عجوزٌ فقالت : أَشكو إليك قلة الجُرْذان ، فقال : ما أحسن هذه الكناية ، املئوا بيتها خبزًا ولحمًا وسمنًا وتمرًا .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : باع قيس بن سعد مالًا من معاوية بتسعين ألفًا ، فأمر من نادى في المدينة ، من أراد القرض فليأت ، فأقرض أربعين ألفًا ، وأجاز بالباقي ، وكتب على من أقرضه ، فمرض مرضًا قَلَّ عواده ، فقال لزوجته ؛ قريبة أُخت الصِّدِّيق : لِمَ قَلَّ عُوّادي ؟ قالت : للدَّيْن . فأرسل إلى كل رجلٍ بصَكِّهِ ، وقال : اللهم ارزقني مالًا وفعالًا ، فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال[٤].

وفي « لباب الآداب » : مرض قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فاستبطأ إخوانه عن عيادته ، فسأل عنهم ، فقيل : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدَّيْن . فقال : أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة ،

---

(١) صحيح في ذكر النحر ، محتمل في المرفوع ، ذكره الدارقطني في « المستجاد » صـ ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠٦ ، وابن عساكر ١٤ / ٢٢٩ / أ .

(٣) السير ٣ / ١٠٦ .

(٤) السير ٣ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

ثم أمر مناديًا فنادى : من كان لقيس عليه دين فهو في حلٍّ منه ، فكُسرت درجته بالعَشي لكثرة من عَادَه[١].

السيد السِّبط ، ريحانة رسول الله ﷺ ، وسيد شباب أهل الجنة : الحسن ابن علي رضي الله عنهما :

قيل له : من الجَوَاد ؟ قال : الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى على نفسه بعد ذلك حقوقًا[٢].

كان رضي الله عنه يعطي الرجل الواحد مائة ألفٍ[٣].

عن علي رضي الله عنه أنه خطب ، وقال : إن الحسن قد جمع مالًا ، وهو يريد أن يقسمه بينكم ، فحضر الناس ، فقام الحسن ، فقال : إنما جمعته للفقراء ، فقام نصف الناس[٤].

قال أبو هارون : انطلقنا حجّاجًا ، فدخلنا المدينة ، فدخلنا على الحسن ، فحدّثناه بمسيرنا وحالنا ، فلما خرجنا بعث إلى كل رجل منا بأربعمائة ، فرجعنا ، فأخبرناه بيسارنا ، فقال : لا تردُّوا عليَّ معروفي ، فلو كنتُ على غير هذه الحال ، كان هذا لكم يسيرًا ، أما إني مزودِّكم : إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة[٥].

* * *

---

(١) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ صـ ١٠٩ ، دار الكتب السلفية بالقاهرة .
(٢) لباب الآداب صـ ٨٤ .
(٣) السير ٣ / ٢٥٣ .
(٤) السير ٣ / ٢٦١ .
(٥) تهذيب ابن عساكر ٤ / ٢١٨ .

الإمام الشريف الكامل ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا الحسين الشهيد :

قال سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة : حدثني ظِئْر كان لنا قال : قدمت بأَبَاعِرَ لي - عشرين أو ثلاثين بعيرًا - ذا المروة ، أريد المِيرة من التمر ، فقيل لي : إن عمرو بن عثمان في ماله ، والحسين بن علي في ماله . قال : فجئت عمرو بن عثمان فأمر لي ببعيرين أن يُحمَل لي عليهما ، فقال لي قائل : ويلك ، ايتِ الحسينَ بن علي . فجئته و لم أكن أعرفه ، فإذا رجل جالس بالأرض حوله عبيده ، بين يديه جفنة عظيمة فيها خبز غليظ ولحم ، وهو يأكل وهم يأكلون معه ، فَسَلَّمت ، فقلت : والله ، ما أرى أن يعطيني هذا شيئًا . فقال : هَلُمَّ فكلْ ، فأكلت معه ، ثم قام إلى ربيعِ الماء - مجراه - فجعل يشرب بيديه ثم غسلهما وقال : ما حاجتك ؟ فقلت : أمتع الله بك ، قدمت بأَبَاعر أُريد المِيرة من هذه القرية ، فذُكِرْتَ لي فأتيتك لتعطيني مما أعطاك الله . قال : اذهب فأتني بأَبَاعِرك . فجئت بها ، فقال : دونك هذا المِرْبد فأوقرها من هذا التمر ، فأوقرتها والله ما حَمَلَتْ . ثم انطلقت فقلت : بأبي وأمي ، هذا والله الكرم(١) .

وقدم على الحسين شيخٌ من بني سعد بن بكر فقال : يا ابن بنت رسول الله ، إن ابن أخ لي أصاب دمًا ، وقدمت أستعين هذا الحيّ من قريش على ديته ، فرأيت أن أبدأ بك . فقال : والذي نفس حسين بيده ، ما أصبح في بيتي دينار ولا درهم ، وما غدوت إلى السوق إلا لألتمس العينة في بعض نفقاتنا وما لا بدّ منه ، ولكني أراك رجلًا جلدًا ، وقد حان حصاد مالي بذي المروة عَيْنِ يُحَنَّسَ ، فاخرج إليها فقم عليها بِعِمالةٍ ، ثم احصد ودُقّ

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١١١ .

وبِعْ ، فإنها مؤدية عنك ، ولا تسأل أحدًا شيئًا . فقال : أفعل ، بأبي وأمي ، وكتب إلى قيِّمه : انظر فلان بن فلان ، فخلِّ بينه وبين حصاد أرضك ، فإني قد أعطيته إياه ، فخرج فحصدها ، فباع منها بعشرين ألف درهم ، فأدى اثني عشر ألفًا واستفضل ثمانية آلاف[١].

حكيم بن حِزام رضي الله عنه :

قال حكيم : ما أصبحتُ صباحًا قطُّ ، فرأيت بفنائي طالبَ حاجة قد ضاق بها ذرعًا فقضيتها ، إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها ، ولا أصبحتُ صباحًا لم أرَ بفنائي طالب حاجة ، إلَّا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها[٢].

قال عبد الملك بن مروان : ما كنت أحب أن أحدًا ولدني من العرب إلا عروة بن الورد لقوله :

أتهزأُ مني أن سَمنت وأن ترى ... بجسميَ مسَّ الجوعِ والجوعُ جاهِدُ
لأني امرؤٌ عافى إنائي شركةٌ ... وأنت امرؤ عافى إناءك واحدُ
أُقسِّم جسمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحسو قراحَ الماءِ والماء باردُ[٣]

ومن أجواد أهل الإسلام :

قال ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (١ / ٢٩٣ - ٢٩٤) : « وأما أجواد أهل الإسلام فأحد عشر رجلًا في عصر واحد ، لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم :

فأجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد : عبيد الله بن عباس ، وعبد الله

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١٢١ .
(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١٠٧ .
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

ابن جعفر ، وسعيد بن العاص .

وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد ، وهم : عبد الله بن عامر ابن كُريز ، وعُبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله ﷺ ، ومسلم بن زيادة ، وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي ، وطلحة الطلحات ، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي .

وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد ، وهم عَتّاب بن ورقاء الرياحي ، وأسماء بن خارجة الفزاري ، وعكرمة بن ربعي الفيّاض » .

عَلَمُ الجُود عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما :

إنه أول من فطّر جيرانه ، وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأوّل من حيًّا على طعامه ، وأول من أنهبه .

من جوده : أنه أتاه رجلٌ وهو بفناء داره ، فقام بين يديه فقال : يا ابن عباس ، إنّ لي عندك يدًا ، وقد احتجت إليها . فصعَّد فيه بصره وصوَّبه ، فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدُك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفًا بزمزم وغلامك يمتحُ[1] لك من مائها ، والشمس قد صهرتك ، فظللتك بطرف كسائي حتى شربتَ . قال : إني لأذكر ذلك ، وإنه يتردَّدُ بين خاطري وفكري ، ثم قال لقيّمِهِ : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم ، قال : فادفعها إليه ، وما أُراها تفِي بحق يده عندنا ، فقال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه ، فكيف وقد وَلد سيد الأولين والآخرين محمدًا ﷺ ، ثم شفعه بك وبأبيك .

ومن جوده أيضًا : أن معاوية حَبَسَ عن الحسين بن علي صِلاتِه حتى

---

(١) المتح : الاستسقاء .

ضاقت عليه حاله ، فقيل له : لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله ، فإنه قد قدم بنحوٍ من ألفِ ألفِ درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ! فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت ، وأسخى من البحر إذا زخر . ثم وجه إليه مع رسوله بكتابٍ ذكر فيه حَبْسَ معاوية عنه صِلاته وضِيقَ حاله ، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم ، فلما قرأ عبيد الله كتابه ، وكان مِن أرقّ الناس قلبًا وألينهم عطفًا ، انهملت عيناه ، ثم قال لِقَهْرَمَانِهِ : احمل إلى الحسين نصف ما أملكَه من فضةٍ وذهبٍ وثوب ودابة ، وأَخْبِرْه أني شاطرته مالي ، فإنْ أقنعه ذلك ، وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر ، فقال له القيِّم : فهذه المؤن التي عليك ، من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتُك على أمرٍ يقيم حالك . فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين ، قال : إنَّا لله ، حَمَلتُ والله على ابن عمي ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله ، فأخذ الشطر من ماله . وهو أول من فعل ذلك في الإسلام .

ومن جوده : أن معاوية بن أبي سفيان أهدَى إليه وهو عنده بالشام من الهدايا حُللًا كثيرة ، ومسكًا وآنية من ذهب وفضّة ، ووجهها مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها ، فقال : هل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم والله ، إنَّ في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام . فضحك عُبيد الله ، وقال : **فشأنك بها فهي لك . قال : جُعلت فداك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية** فيجد عليّ . قال : فاختمها بخاتمك ، وادفعها إلى الخازن ، فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلًا . فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم .

ومن جوده أيضًا : أنه جاءه رجلٌ من الأنصار فقال : يا ابن عم رسول الله ﷺ ، إنه وُلد لي في هذه الليلة مولود ، وإني سميته باسمك

تبرُّكًا مني به ، وإنَّ أمه ماتت . فقال عبيد الله : بارك الله لك في الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله ، فقال : انطلق الساعة فاشترِ للمولود جارية تحضنه ، وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته ، ثم قال للأنصاري : عُد إلينا بعد أيامٍ ؛ فإنك جئتنا وفي العِيس يُبسٌ وفي المال قلّة . قال الأنصاري : لو سَبقتَ حاتمًا بيوم واحد ما ذكرتْه العرب أبدًا ، ولكنه سبقك فصرت له تاليًا ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطلُّ كرمك أكثر من وابله[1] .

لله دَرُّ بيت النبوة : هذه هِزة كريم حسيب !!

ومن جوده : أنه خرج يريد معاوية ، فأصابته السَّماء وهو في أرضٍ قفر ليلًا ، فرُفعت له نارٌ ، فقال لغلامه مِقسَم : اقصد بنا النار ، فأتاها ، فإذا شيخ معه أهله ، وكان عبيد الله من أجمل الناس ، فلما رآه الشيخ أعظمه ، وقال لامرأته : إن كان هذا قرشيًّا فهو من بني هاشم ، وإن كان يمانيًّا فهو من بني آكل المرار ، فهيِّئي لنا عنزك أقضي بها ذِمَامه ، فقالت له امرأته : إذن تموت ابنتي من الجوع ، قال الشيخ : الموت خير من اللؤم ، فأخذ الشَّفرة وقام إلى العنز وهو يقول :

قَرينَتَا لا توقظي بُنَيَّهْ ... إنْ تُوقظيهَا تَنْتحبْ عَلَيَّهْ
وتنزعُ الشفرةَ من يَدَيَّهْ ... أبْغِضْ بهذا وبذا إليَّهْ

فذبحها ، وحدَّث عبيد الله حتى نضجت ، فأكَل عبيد الله منها وبات ليلته ، فلما قَرُبَ الرحيل قال لمقسم : كم معك من نفقتنا ؟ قال : خمسمائة دينار ، قال : ألقها إلى الشيخ ، قال مقسم : سبحان الله ! إنما

---

(١) العقد الفريد ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .

كان يكفيه أن تضعف له ثمن عنزه ، والله ما يعرفك ولا يدري من أنت !! قال : لكني أعرف نفسي ، وأدري من أنا ! هذا لم يكن له من الدنيا غير هذه العنز فجاد لنا بها ، وهو لا يعرفنا ، فخرج من دنياه ، وأعطيناه بعض دنيانا ، فهو أجود منا ! وسار عبيد الله حتى قدم على معاوية ، وقضى حوائجه ، فلما انصرف قال : يا مقسم ، مُرَّ بنا على الشيخ ننظر كيف حاله ، فإذا إبل عظيمة، وأنشده الشيخ شعرًا قال فيه :

تَوسَّمْتُه لما رأيت مهابةً ... عليه وقلتُ المرءُ من آلِ هاشمِ
وإلَّا فمن آلِ المُرار فإنهم ... ملوكُ ملوكٍ من ملوكٍ خَضَارمِ
فقمتُ إلى عَنْزٍ بقية أعنز ... فأذْبحَها فعلَ امرئٍ غير عاتمِ
فعوّضني منها غناي ولم تكن ... تساوي عَنَاقي غير خمس دراهم
فقلتُ لعُرسي في الخلا وصبيتي ... أألحق هذا أوْ هُوَ أضغاث حالمِ
فقالوا جميعًا لا ، بل الحق هذه ... يَخُبُّ بها الركبانُ وسْط المواسمِ
بخمسِ مِئِينٍ من دنانير عُوِّضَتْ ... من العنز ما جادتْ بها كَفُّ حاتمِ

فلما ارتحل عبيد الله سار الشيخ في العرب بالذي صنع عُبيد الله ، وبلغ ذلك معاوية ، فقال : للهِ عُبيد الله !! من أيِّ بيضةٍ خرج ، ومن أي عشٍّ دَرَج ! وهذا لعمري من فَعلاته[1]!!

وقال عبيد الله للحسن والحسين : « إن الله تبارك وتعالى عوّدني عادة جميلة ، فعوّدتها عبادَهُ ، ولستُ آمن إن قطعتُ عادتي عن عباده أن يقطع عادته عنّي . فقالا : لا نأمرك في هذا بشيءٍ . وقاما وانصرفَا حامدَيْن لأمره »[2].

---

(١) لباب الآداب صـ ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) لباب الآداب صـ ١١٨ .

عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما :

قال عنه الذهبي في السير : كان كبير الشأن ، جوادًا ، يصلح للإمامة .

عن ابن سيرين رحمه الله قال : جلب رجل من التجار سُكَّرًا إلى المدينة ، فكسد عليه ، فبلغ عبد الله بن جعفر ، فأمر قَهْرمانه أن يشتريه ، وأن ينهبه الناس[1] .

« قال الحميدي : سمعت القدّاح يذكر أن رجلًا عَرَض لعبد الله وقد خرج من باب بني شيبة فقال : يا ابن الطيار في الجنة ، صِلْني بنفقةٍ أتبلَّغ بها إلى أهلي ، كرّم الله وجهك . قال : فرمى إليه برمّانةٍ من ذهبٍ كانت في يده ، فوزنها الرجل فإذا فيها ثلاثمائة مثقال .

وعن الشعبي قال : كان لعبد الله بن جعفر على رجلٍ من أهل المدينة خمسون ألفًا ، فاستعان عليه بعُبيد الله بن عباس في ذلك فقال : قد حططتُ عنه شطرها وأخرته بالشطر الآخر إلى ميسوره . قال : فجزاه عُبيد الله خيرًا وانصرف ، فأتْبعه ابن جعفر رسولًا : إني قد طيّبت له النصف الآخر »[2] .

ومن جوده أيضًا : أنه أعطى امرأةً سألته مالًا عظيمًا . فقيل له : إنها لا تعرفك ، وكان يُرضيها اليسير . قال : إن كان يُرضيها اليسير فإني لا أرضى إلّا بالكثير ، وإنْ كانت لا تعرفني فإني أعرف نفسي .

قيل : إن أعرابيًّا قصد مروان فقال : ما عندنا شيء ، فعليك بعبد الله ابن جعفر . فأتى الأعرابيُّ عبدَ الله فأنشأ يقول :

أبو جعفر من أهل بيت نبوّة صَلاتهم للمسلمين طَهورُ

---

(١) المستجاد صـ ٧٧ .

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١٠٨ - ١٠٩ .

أبا جعفرٍ ضنَّ الأميرُ بمالِهِ وأنت على ما في يديك أميرُ
أبا جعفر يا ابن الشَّهيد الذي له جناحان في أعلى الجنان يطيرُ
أبا جعفرٍ ما مثلك اليومَ أرتجي فلا تتركنِّي بالفلاةِ أدورُ

فقال : يا أعرابي ، سار الثقل ، فعليك بالراحلة بما عليها ، وإياك أن تُخدع عن السيف ، فإني أخذته بألفِ دينار .

ويروى أن شاعرًا جاء إلى عبد الله بن جعفر فأنشده :

رأيتُ أبا جعفرٍ في المنامِ كساني من الخزِّ درّاعهْ
شكوتُ إلى صاحبي أمرها فقال ستُوتَى بها السَّاعهْ
سَيكْسُوكَها الماجدُ الجعفريُّ وَمَنْ كَفُّه الدهرَ نفّاعهْ
ومَنْ قال للجود لا تعدُني فقال له السمعُ والطاعهْ

فقال عبد الله لغلامه : أعطه جبتي الخزّ ، ثم قال له : ويحك ، كيف لم تَرَ جبتي الوَشْي ، اشتريتها بثلاثمائة دينار منسوجة بالذهب ، فقال : أنام فلعلِّي أراها ، فضحك عبد الله ، وقال : ادفعوها إليه .

وعن الأصمعي : أنَّ امرأةً أتت بدجاجة مَسْموطة فقالت لابن جعفر : بأبي أنت هذه الدجاجة كانت مثل بنتي ، فآليت ألّا أدفنها إلا في أكرم موضع أقدر عليه ، ولا والله ما في الأرض أكرم من بطنك ، قال : خذها منها واحملوا إليها ، فذكر أنواعًا من العطاء حتى قالت : بأبي أنت ، إن الله لا يحب المسرفين .

وذكر الزبير بن بكّار أن عبيد الله بن مليكة عن أبيه عن جده قال : دخل ابن أبي عمّار ، وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز ، على نخّاس[1] ،

---

(١) مَنْ يَبيعُ العبيد والرقيق والجواري .

فعرض عليه جاريةً فعلق بها ، وأخذه أمر عظيم ، ولم يكن معه مقدار ثمنها ، فمشى إليه عطاء وطاووس ومجاهد يعذلونه ، وبلغ خبره عبد الله فاشتراها بأربعين ألفًا ، وزينها وحلَّاها ، ثم طلب ابنَ أبي عمار فقال : ما فعل حبك فلانة ؟ قال : هي التي هام قلبي بذكرها ، والنفسُ مشغولة بها ، فقال : يا جارية ، أخرجيها . فأخرجتها ترفل في الحليِّ والحلل ، وقال : شأنك بها ، بارك الله لك فيها ، فقال : لقد تفضلت بشيءٍ لا يتفضل به إلا اللهُ . فلما ولّى بها ، قال : يا غلام ، احمل معه مائة ألف درهمَ . فقال : لئن والله وُعدنا نعيم الآخرة ، فقد عَجّلت نعيم الدنيا[1] .

وفي العقد الفريد (١ / ٢٩٧) : « قال : ما فعل حب فلانة ؟ قال : في اللحم والدم والمخ والعصب . قال : أتعرفها لو رأيتها ؟ قال : لو أُدخلتُ الجنة لم أُنكرها . فأمر بها عبدُ الله أن تخرج إليه وقال له : إنما اشتريتها لك ، ووالله ما دنوتُ منها ، فشأنك بها ، مباركًا لك فيها . فلما ولَّى قال : يا غلام ، احمل معه مائة ألف درهم ينعم بها معها . قال : فبكى عبد الرحمن فرحًا ، وقال : يا أهل البيت ، لقد خصَّكم الله بشرف ما خصَّ به أحدًا قبلكم من صلب آدم ، فتهنئكم هذه النعمة وبورك لكم فيها » .

وعن العمري أن ابن جعفر أسلف الزبير ألف ألف ، فلما تُوفي الزبير قال ابن الزبير لابن جعفر : إني وجدتُ في كتبِ الزبير أنَّ له عليك ألف ألف . قال : هو صادق . ثم لقيه بعد ، فقال : يا أبا جعفر ، وهمتُ، المال لك عليه : قال : فهو له . قال : لا أريد ذلك[2] .

---

(١) السير ٣ / ٤٦١ .

(٢) السير ٣ / ٤٦٠ .

جُـودُ أعـرابيّ :

قال شيخٌ من بني عمرو بن كلاب : خرج عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما يريد الشَّام ، فألجأه المطر إلى أبياتٍ ، فإذا قبّة حمراء بفنائها رجل ينادي : الذَّري الذَّري[١] ، قال عبد الله : فأنخنا فدخلنا القبّة ، وحُطَّ عن رواحلنا ، ثم أتى بجزور فذبحها ، فبتنا في شواء وقديد ، وتحدّث معنا من الليل هُنيهةً ثم انصرف . فلما أصبح وقف عن القبّة ، وسألنا عن سَبِيتنا ، وانصرف ، فأتى بجزورٍ فعقرها ، فقلنا : رحمك الله ، ما تريدُ إلى هذا ؟! قال : كلوا رحمكم الله طريًّا ، فإنا لا نُطعم الضيف غَابًّا[٢] . قال عبد الله رحمه الله : فدعوت بثوبٍ فجعلت فيه زعفرانًا ، وصَرَرتُ في طرفٍ منه مائة دينار ، ثم بعثت به إلى أهله ، فقالوا : إنَّا لا نقدر على أخذه إلا بإذنه . فسألته أن يقبله مني فأبى ، فلما ارتحلنا وودّعْته أمرتُ فأُلقي الثوب بين البيوت ومضينا ، فإنا لنسير إذ لحقنا على فرسٍ مشرعًا رمحه ، قد احمرَّتْ عيناه ، والثوب بين يديه ، فصاح بنا : أغنوا[٣] عني هذا . ونبذه إلينا ، وولَّى وهو يقول :

وإذا أخـذتُ ثواب ما أعطيتُـهُ فكفـى بذاكَ لِنَـائلي تَكْـدِيرَا

ضرار بن القعقاع رضي الله عنه :

عـن قتيبة بن مسلم قال : كان في مكز[٤] دماء ، فاجتمعوا لها في المسجد الجامع ، فأرسلني أبي إلى ضرار بن القعقاع ، فقال لي : قل له : إن قومك قد اجتمعوا في هذه الدماء ، فاحضرهم . فانتهينا إلى المسجد الجامع

---

(١) الذري : الكنُّ ، يعني : ما كَنَّك .

(٢) الغابُّ : هو اللحم البائت .

(٣) أي اصرفوه عني وكفوه .

(٤) مكز : بلد بالمشرق من بلاد مكران .

وهم حلق . قال : فنظر إلى عين الشمس فجعلها في ظهره ، ثم جلس ، قال : فجعلوا يتحوّلون إليه رجلًا ورجلين ، حتى صاروا حوله ، ثم جعلوا يتهاترون ، وهو ينكت في الأرض ، فلما انتصف النهار ، قال له رجل : يا أبا القعقاع ، ألا تكلَّم ؟! أما ترى ما فيه قومك ؟! فقال : أو قد احتجتم إلى ذلك ؟! قالوا : نعم . فقال للمطلوبين : أمّا أنتم فبراء ، وقال للطالبين : حقُّكم إليّ . قال : فكأنما كانت نارًا طُفيت ، فقاموا فتفرقوا ، وأرسل إلى آبل مأبله بالبادية ، فوَدَى تلك الدِّيات[1] .

عدي بن حاتم رضي الله عنه :

قال ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (١ / ٣٠٩) : دخل عليه ابن دارة فقال : إني مدحتك ، قال : أمسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسن ، فإني أكره ألَّا أعطيك ثمن ما تقول ؛ لي ألف شاة ، وألف درهم ، وثلاثة أعبد ، وثلاث إماء ، وفرسي هذا حَبْس في سبيل الله ، فامدحني على حسب ما أخبرتك. فقال :

تحنُّ قلوصي في مَعَدّ وإنما ... تلاقي الربيعَ في ديارِ بني ثُمَلْ
وأبقى الليالَي من عديّ بن حاتمٍ ... حسامًا كَنَصْلِ السيفِ سُلَّ من الخللْ
أبوكَ جَوادٌ لا يُشَقّ غبارُه ... وأنت جوادٌ ما تَعَذَّرُ بالعِللْ
فإنْ تتقوا شرًّا فمثلكمُ اتّقى ... وإنْ تفعلوا خيرًا فمثلكمُ فعلْ

قال له عدي : أمْسِكْ ، لا يبلغ مالي أكثر من هذا .

جُودُ سعيد بن العاص :

عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري قال : قدم أعرابي المدينة يطلب في أربعِ دياتٍ حملها ، فقيل له : عليك بالحسن بن علي ، عليك بعبد الله

(١) المستجاد صـ ٨٢ ، ٨٣ .

ابن جعفر ، عليك بسعيد بن العاص ، عليك بعبد الله بن العباس ، فدخل المسجد فرأى رجلًا يخرج معه جماعة ، فقال : من هذا ؟ فقيل : سعيد ابن العاص . قال : هذا أحد أصحابي الذين ذُكِرُوا لي ، فمشى معه فأخبره بالذي قدم له ومن ذُكِر له وأنه أحدهم ، وهو ساكت عنه لا يجيبه ، فلما بلغ باب منزله قال لخازنه : قُلْ لهذا الأعرابي فليأت بمنٍّ يُحمل له . فقيل له : ايتِ بمنٍّ يُحمل لك . قال : عافى الله سعيدًا ، إنما سألناه وَرِقًا ولم نسأله تمرًا . قال : ويحك ، ايت بمنٍّ يُحمل لك ، فأخرج إليه أربعين ألفًا ، فاحتملها الأعرابي فمضى إلى البادية ولم يلق غيره[1] .

ومن جوده : أنه مرض وهو بالشام ، فعاده معاوية ومعه شرحبيل ابن السِّمطِ ، ومسلم بن عقبة المرّي ، ويزيد بن شجرة الرَّهاوي ، فلما نظر سعيدُ معاوية وثب عن صدر مجلسه إعظامًا لمعاوية ، فقال له معاوية : أقسمت عليك أبا عثمان ألَّا تتحرك ، فقد ضعفت بالعلّة ، فسقط ، فتبادر معاوية نحوه حتى حَنَا عليه وأخذ بيده ، فأقعده على فراشه وقعد معه ، وجعل يُسَائله عن عِلَّته ومنامه وغذائه ، ويصفْ له ما ينبغي أن يتوقّاه ، وأطال القعود معه ، فلما خرج التفت إلى شرحبيل بن السِّمط ، ويزيد بن شجرة فقال : هل رأيتما خللًا في مال أبي عثمان ؟ فقالا : ما رأينا شيئًا ننكره . فقال لمسلم بن عقبة : ما تقول ؟ قال : رأيت . قال : وما ذاك ؟ قال : رأيت على حشمه ومواليه ثيابًا وسخة ، ورأيت صحن داره غير مكنوس ، ورأيت التُّجار يخاصمون قَهْرَمانه . قال : صدقت ، كل ذلك قد رأيته . فوجَّه إليه مع مسلم بثلاثمائة ألف . فسبق رسولٌ يُبشّره بها ويخبره بما كان ، فغضب سعيد وقال للرسول : إن صاحبك ظنَّ أنه أحسن فأساء ، وتأوَّل فأخطأ ؛ فأما وسخ ثياب الحَشَم فمن كثرة حركته اتَّسخ

---

(١) مكارم الأخلاق صـ ١١٦ - ١١٧ .

ثوبه ؛ وأما كَنْس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جَعَل داره مِرْآته ، وتزيّنه لبسه ، ومعروفه عطره ، ثم لا يبالي بمن مات هزلًا من ذي لُحمة أو حُرمة . وأما منازَعة التجار قهرماني ؛ فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بُدًّا من أن يكون ظالمًا أو مظلومًا ، وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فوصلتُه كل ذي رَحِم قاطعة ، وَهَنَأته كرامته المُنعَم بها عليه ، وقد قبلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف ، ولشرحبيل بن السمط بمثلها ، وليزيد بن شجرة بمثلها . وفي سعة الله وبسط يد أمير المؤمنين ما عليه مُعَوَّلنا . فركب مسلم بن عقبة إلى معاوية فأعلمه . فقال : صدق ابن عمي فيما قال ، وأخطأت فيما انتهيت إليه ، فاجعل نصيبك من المال لروح بن زنباع عقوبة لك ، فإنه من جَنَى جناية عُوقب بمثلها ، كما أنه من فعل خيرًا كُوفيء عليه .

وقال له معاوية يومًا : أخبرني عن مَالِكَ ، فقد نبئتُ أنك تتجر فيه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لنا مال يَخْرجُ لنا منه فضلٌ ، فإذا كان ما خرج قليلًا أنفقناه على قلّته ، وإن كان كثيرًا فكذلك ، غير أنا لا ندخر منه شيئًا عن مُعْسر ولا طالب ولا مستحمل ، ولا نستأثر منه بفلذة لحم ، ولا مُزعة شحم . قال : فكم يدومُ لك هذا ؟ قال : من السَّنة نصفها . قال : فما تصنع في باقيها ؟ قال : نجد من يسلّفنا ويسارع إلى معاملتنا . قال : ما أحدٌ أحوج إلى أن يُصلح من شأنه منك . قال : إن شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ، ولو زدت في مالي مثله ما كنت إلا بمثل هذه الحال . فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم وقال : اشْترِ بها ضَيْعةً تُعينك على مروءتك . فقال سعيد : بل أشتري بها حمدًا وذكرًا باقيًا ، أُطعم الجائع ، وأُزوّج بها الأيِّم ، وأفك العاني ، وأواسي بها الصديق ، وأُصلح بها حال الجار . فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم . فقال معاوية : ما فضيلة بعد

الإيمان بالله ، هي أرفع في الذكر ، ولا أنبه في الشرف من الجُودِ ، وحسبك أنَّ الله تبارك وتعالى جعل الجُود أحد صفاته[(١)] .

ومن جوده أيضًا ما حكاه الأصمعي قال : كان سعيد بن العاص يَسْمر مع سمّاره إلى أن ينقضي حينٌ من الليل ، فانصرف عنه القوم ليلةً ورجل قاعد لم يقم . فأمر سعيد بإطفاء الشمعة وقال : حاجتك يا فتى ؟ فذكر أن علينا دينًا أربَعَة آلاف درهم ، فأمر له بها ، وكان إطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه[(٢)] .

قال سعيد بن العاص : قبّح الله المعروفَ إنْ لم يكن ابتدئ من غير مسألةٍ ، فالمعروفُ عِوضٌ عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه ، فقلبه خائف ، وفرائصه ترتعد ، وجبينه يرْشح ، لا يدري أيرجع بنُجْحِ الطلب ، أم بسوء المُنقلب ، قد انتُقِعَ لونه ، وذهب دم وجهه ، اللهم إن كانت الدنيا لها عندي حظًّا فلا تجعل لي حظًّا في الآخرة .

ولله دَرُّ من قال :

وما الجودُ مَنْ يعطي إذا ما سألتَه ولكنَّ من يُعطي بغيرِ سُـؤالِ

وسأل معاويةُ صعصعة بن صوحان : ما الجود ؟ فقال : التبرع بالمال ، والعطية قبل السؤال .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له إليَّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة .

نعم ، فكل سؤالٍ وإنْ قلَّ أكثر من نوالٍ وإنْ جلَّ .

---

(١) العقد الفريد ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) العقد الفريد ١ / ٣٠٠ .

عبد الله بن عامر بن كُرَيْز القرشي :

عن عبد الله بن عباس رحمه الله قال : لقد رأيت من عبد الله بن عامر منظرًا لوددت أني كنت فعلته ؛ كنا في الربيع في المسجد ، فنشأت سحابة فأمطرت فتقوّضت الحِلَق ، فدعا ابن عامر بطيَالسةٍ ، فألقى على كل رجل من جُلسائه طيلسانًا مطبقًا ، ثم لم تلبث أن تَجَلَّتْ ، فقال : قوموا بها[1].

ولله دَرُّ ابن عامر حين **أقسم : لا يُغلق له باب ، فكانت أبوابه تبيت** مفتوحة[2].

قال القاضي التنوخي : خرج رجلان من المدينة ، يريدان عبد الله بن عامر بن كُرَيز للوفادة عليه : أحدهما من ولد جابر بن عبد الله الأنصاري ، والآخر من ثقيف ، وكان عبد الله عاملًا بالعراق لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأقبلا يسيران ، حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصاري للثقفي : هل لك في رأي رأيته ؟ قال : اعرضه . قال : نُنيخ برواحلنا ونتوضَّا ونصلِّي ركعتين ، نحمد الله عز وجل فيهما على ما قضى من سفرنا . قال له : نعم ، هذا الرأي الذي لا يُردُّ . قال : ففعلا . ثم التفت الأنصاري إلى الثقفي فقال له : يا أخَا ثقيف ، ما رأيك ؟ قال : وأي موضع رأي هذا ؟ قضيتُ سفري ، وأضنيت بدني ، وأتعبت راحلتي ، ولا مؤمّل دون ابن عامر ، فهل لك من رأي غير هذا ؟ قال : نعم ، إنني لما صليت فكّرت ، فاستحييتُ من ربي أن يراني طالبَ رزقٍ من عند غيره ، ثم قال : اللهم رازق ابن عامر ارزقني من فضلك ، ثم ولَّى راجعًا إلى المدينة . ودخل الثقفي إلى البصرة ، فمكث على باب ابن عامر أيامًا ، فلما أذن له دخل عليه ، وكان قد كُتب إليه من

---

(١) لباب الآداب ٩١ - ٩٢ .

(٢) لباب الآداب ١١٩ - ١٢٠ .

المدينة بخبرهما ، فلما رآه رَحَّبَ به وقال : أَلم أُخبر أنَّ ابن جابر خرج معك ؟ فأخبره ما كان منهما ، فبكى ابن عامر وقال : والله ما قالها أشرًا ولا بَطَرًا ولكن رأى مَجرى الرزق ومَخْرج النعمة ، فعلم أن الله عز وجل هو الذي فعل ذلك فسأله من فضله ، ثم أمر للثقفي بأربعة آلافٍ وكسوة ، وأضعف ذلك للأنصاري ، فخرج الثقفي وهو يقول :

أُمامةُ ما سَعْيُ الحريصِ بزائدٍ ... فتيلًا ولا عجزُ الضعيفِ بضائرِ
خرجنا جميعًا من مساقطِ روسنا ... على ثقةٍ منَّا بجُودِ ابن عامرِ
فلما أنخنا الناعجاتِ ببابه ... تأخّر عني اليثربي ابن جابرِ
وقال ستكفيني عطيةُ قادرٍ ... على ما يشاء اليوم للخلقِ قاهرِ
فإنَّ الذي أعطى العراقَ ابن عامر ... لَرَبِّي الذي أرجو لِسَدِّ مَفَاقِري
فلما رآني قال أين ابن جابرٍ ... وَحَنَّ كما حَنَّت عرابُ الأباعرِ
فأضعفَ عبدُ الله إذْ غابَ حظَّه ... على حَظِّ لهْفَانٍ من الحرص فاغرِ

الجود خِلْقةٌ أَثَرَتْ عذوبة لذة الثناء على لذة المال ، وهو مِنْ أمهات المحاسن ، ومن الكرم بسبيل خاصة ، وبمكان رفيع من القلوب .

خرج عبد الله بن عامر بن كُرَيْز رحمه الله من المسجد يريد منزله ، وهو وحده ، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه ، فقال له عبد الله : ألك حاجة يا غلام ؟ قال : سلامتك وفلاحك ، رأيتك تمشي وحدك فقلت : أقيك بنفسي ، وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه ، فأخذ عبد الله بيده ، ومشى معه إلى منزله ، ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام ، وقال : استنفق هذه ، فَنِعْمَ ما أدَّبك أهلُك .

واشترى رحمه الله من خالد بن عقبة بن أبي مُعيط دَارَه التي في السوق

بسبعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد ، فقال لأهله : ما لهؤلاء ؟ قال : يبكون من أجل دارهم . قال : يا غلام ، ائتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعًا[١].

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

قال عبد الله بن نمر : ما رأيتُ أحدًا بعد رسول الله ﷺ أجود من معاوية ، وهو أول من أعطى ألف ألف درهم في صدقة .

« قال مصعب الزبيري : حجَّ معاوية بن أبي سفيان ، فلما انصرف مرّ بالمدينة ، فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن رضي الله عنهما : لا تَلْقَه ولا تُسَلِّم عليه ، فلما خرج معاوية رضي الله عنه قال الحسن : يا أخي ، إن علينا دَيْنًا ، ولا بُدّ لي أن أذهب إليه ، فلحقه بِثَنِيَّة النول ، وهو منحدر على الوادي ، فَسلَّم عليه وأخبره بدَيْنه ، فمرُّوا بِبُخْتِيٍّ عليه ثمانون ألف دينار ، وهو يضلع وهم يزجونه ، فقال معاوية : ما هذا ؟ قالوا : أعيا وعليه المال ، ونحن نزجّه ليلحق ، فقال : اصرفوه إلى أبي محمد ، فدفعه إليه وعليه ثمانون ألف دينار »[٢].

ومن الأجواد:التابعيّ : عبيد الله بن أبي بَكْرة مولى رسول الله ﷺ :

عن قريش بن أنس قال : وجَّه محمد بن المهلب بن أبي صفرة إلى عُبيد الله بن أبي بكرة أنه أصابتني علّة ، فوُصف لي لبنُ البقر ، فابعث إليَّ ببقرة أشرب من لبنها ، فبعث إليه بسبعمائة بقرة ورُعَاتها ، وقال : القرية التي كانت ترعى فيها لك[٣].

---

(١) لباب الآداب صـ ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) لباب الآداب صـ ٨٧ .

(٣) رواه الذهبي في « السير » ، والمحاملي في « أماليه » ، وابن عساكر ، والدارقطني =

وعن ابن سيرين قال : اشتكى رجلٌ فوُصف له لبن الجواميس ، **فبعث إلى عبيد الله بن أبي بكرة : ابعث إلينا بجاموسة ، قال : فبعث** إلى قيِّمه: كم حلوب لنا ؟ قال : تسعمائة . قال : ابعث بها إليه ، قال : فلما أتته قال : إنما أردت واحدة . قال : فبعث إليه : اقبضها كلَّها(١) .

وعن محمد بن عبد الرحمٰن الهمداني قال : رأى عبيد الله بن **أبي بكرة على أبي الأسود الدّيلي جُبَّةً رثَّةً كان يكثر لبسها ، فقال : يا** أبا الأسود ، أمَا تَمَلُّ هذه الجبَّة ؟ فقال : لَرُبَّ مَمْلولٍ لا يُستطاع فراقه . قال : فبعث إليه بمائة ثوب .

قال أبو الحسن المدائني : لقي ابن أبي بكرة سعيدَ بن عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد ولّاه معاوية خراسان ، وابن أبي بكرة يريد المدينة ، فرأى خباءً مضروبًا رثًّا ، فقال : لمن هذا ؟ قالوا : لسعيد بن عثمان بن عفان ، يريد خراسان ، فمشى إليه ، وقال : أنت ابن أمير المؤمنين عثمان والي خراسان في هذه الهيئة ، اجعل طريقك بالبصرة ، واكتب إلى وكيلي يجهِّزك ، فكتب إلى وكيله سُليم الناصح أن أعطه عشرين ألفًا ، وعشرين عبدًا ، وعشرين بِرْذَونًا ، وعشرين بعيرًا ، وعشرين طَيْلسانًا ، فظن سعيد ابن عثمان أنه يهزأ به ، فدخل البصرة ، فنزل على مولى لعثمان بن عفان رحمه الله ، وقال : إن ابن أبي بكرة قد كتب إلى وكيله بشيءٍ ، أفتراه يُنْفذ ما كتب به ؟ فأرسل إلى وكيله وأعطاه الكتاب ، فقال : أجِّلْني جمعةً ،

= في « المستجاد » .

(١) حسن : أخرجه الدارقطني في « المستجاد » ، وابن عساكر ، والذهبي وقال : هذا بعبيد الله أشبه من عبد الرحمٰن . وهو كذلك لسعة مال عبيد الله وشهرته في السخاء .

فأجَّلَه ، فأتاه بما في الكتاب ، ثم قال له سليم : ألك حاجة ؟ فقال له سعيد : لو كانت لي حاجة كنتَ تَقْضيها ؟ قال : أمَّا في مثل ما أعطاك مولاي ما كنت لأفعل ، فقال سعيد : ما أدري أيّكما أكرم[1].

وَوَسَّعَ لعبيد الله بن أبي بكرة رجلٌ في مجلس ، فلما قام قال للرجل : الحقني ، فأمر له بعشَرة آلاف درهم .

وابتنى رحمه الله دارًا بالبصرة ، أنفق عليها عشرة آلاف دينار ، فدخل عليه فيها بعض أصحابه فاستحسنها ، فقال : هي لك بما فيها من الفُرُش والأثاث والرقيق ، فقال الرجل : عمَّرها الله بك ومتَّعك بها . فقال : والله لتقبلنَّها ، فقبلها .

ودخلت عليه امرأةً وقالت : سألت أحياءَ العرب : مَنْ المرجو نايله ؟ فأُرسلتُ إليك ودخلت عليك ، وأنا - أصلح الله أمرك - امرأة قد هلك عنها الوالد والولد ، وذهب الطارف والتالد ، ومثلك من يسدُّ الخلة ، ويزيح العلة ، فإمَّا أنْ تُحْسن صَفَدي فتقيمَ أَوَدي ، وإمَّا أنْ تَردَّني إلى بلدي . فقال : بل أجمعُ لك كلَّ ما ذكرتِ ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم وزادٍ وكسوة وراحلة[2].

ومن جوده أنه أدلى إليه رجل بحرمة فأمر له بمائة ألف درهم ، فقال : أصلحك الله ، ما وَصَلَني أحدٌ بمثلها قط ، ولقد قطعت لساني عن شكرِ غيرك ، وما رأيت الدنيا في يدِ أحدٍ أحسن منها في يدك[3].

وكان رضي الله عنه ينفق على جيرانه أربعين دارًا من كل جانب ،

---

(١) لباب الآداب ٩٠ - ٩١ .

(٢) الدّر المنضود في ذم البخل ومدح الجود صـ ٧٢ .

(٣) العقد الفريد ١ / ٣٠٠ .

ويُفْطِر على الكسرة ، وكان يبعث إليهم بالأضاحي والكسوة في الأعياد ، وكان يعتق كلَّ سنة في عيد الفطر مائة مملوك[(١)] .

جود عُرابة الأوسي :

اجتمع جماعةٌ بفناء الكعبة ، فتذاكروا الأجواد ، وتلاحقوا ثلاثة منهم ؛ فقال أحدهم : أجود الناس عبد الله بن جعفر ، وقال أحدهم : أجود الناس قيس بن سعد ، وقال الآخر : أجود الناس عرابة الأوسي . وَكَثُرَ نزاعهم ، فقال رجل : ليمضِ كلٌّ واحدٍ لصاحبه حتى ننظر ما يعطيه ، ونحكم على العيان . فقام صاحب عبد الله ، فصادفه قد وضع رجله في الركاب يريد سفرًا ، فقال له : يا ابن عم رسول الله ﷺ ، ابن سبيل ومنقطع به . فثنى رجله وقال : خذ الناقة بما عليها ، ولا تُخْدع على السيف فإنه من سيوف ابن أبي طالب ، قُوِّم عليّ بألف دينار . فجاء بالناقة بما عليها .

ومضى الآخر إلى قيس بن سعد فوجده نائمًا ، فقال غلامه : ما حاجتك ؟ قال : ابن سبيل ومنقطع به ، قال : حاجتك أيسر من أن أُوقظه ، هذا كيسٌ فيه سبعمائة دينار ، والله ما في داره اليوم غيرها ، خذه وامضِ إلى معاطن الإبل بغلامه كذا ، إلى من فيها ، فخذْ راحلةً وعبدًا ، وامضِ لشأنك ، فلمّا انتبه قيس ، وأعلمه غلامه بما صنع أعتقه ، وقال : هلَّا أيقظتني فكنت أزيده .

ومضى صاحب عرابة إليه ، فلقِيَه قد خرج من منزله يريد الصلاة ، وهو متوكِّئ على عبدين ، وقد كُفَّ بصره ، فقال : ابن سبيل ومنقطع به . فتخلَّى عن الغلامين ، وصفَّق بيديه وقال : أواه !! ما تركت الحقوق لعرابة مالًا ، خذ العبدين ، فقال الرجل : ما كنتُ بالذي أُقصُّ جَناحَيْك . قال :

---

(١) تنبيه المُغترين للشعراني .

إن لم تأخذهما فهما حُرَّان ، فإنْ شئت خذ وإن شئت فأعْتِق ، ورفع يديه عنهما ، وتركهما وأقبل يلتمس الحائط بيده ، فأخذ الرجل الغلامين ومضى . فأجمع الناس على أن عرابة أجود الثلاثة ، لأنه أعطى جهدًا من مقلّ وغيره أعطى من سعةٍ وفضل .

وفي عرابة يقول الشّماع :

رأيتُ عرابة الأوسيَّ يسمو | إلى العَلْيَاءِ مُنْقطع القرينِ
إذا ما رأته رفعت لحد | تلقَّاها عرابةُ باليمينِ[1]

قالت الحكماء : القليلُ من القليل أحمد من الكثير من الكثير .

وقالوا : جهد المُقِلّ أفضلُ من غِنى المُكثِر .

وقيل لبعض الحكماء : من أجودُ الناس ؟ قال : مَنْ جاد عن قلّةٍ ، وصان وجه السائل عن المذلة .

إنَّ الكريم ليُخْفي عنك عُسْرتَه | حتى تراه غنيًّا وهْو مجهودُ
وللبخيل على أمواله عِلَلٌ | زُرقُ العيونِ عليها أوْجُهٌ سُودُ

وقال حاتم :

أُضاحِكُ ضيفي قبل إنزالِ رَحْلِه | ويُخصَبُ عندي والمحلُّ جَديبُ
وَمَا الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثر القِرَىٰ | ولكنَّما وَجْه الكريمِ خَصيبُ

أويس القَرَني :

عن مغيرة قال : إن كان أُويس القرني ليتصدّق بثيابه حتى يجلس عُريانًا لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة .

---

(١) الدّر المنضود في ذم البخل ومدح الجود صـ ٧٠ - ٨١ .

وعن أصبغ بن زيد : كان أويس إذا أمسى تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ، ثم قال : اللهم من مات جوعًا فلا تُؤاخذني به ، ومن مات عُريًا فلا تؤاخذني به[١].

وكان يقول في دعائه : « اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبدٍ جائعةٍ وبَدَنٍ عارٍ ، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلَّا ما في بطني ، وليس لي شيء من الدنيا إلَّا ما على ظهري » . ولم يكن على ظهره حينذاك إلَّا خرقة .

إيه يا سيّد التابعين .. هذا والله الكرم .. وتعجز الكلمات عن أن توفيك قدرك .

قال رسول الله ﷺ : « أفْضَلُ الصدقة جهد المُقِلِّ ، وابدأ بمن تعُول »[٢].

زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله :

عن عمرو بن دينار قال : دخل علىٌّ بن الحسين على محمدِ بنِ أُسامة ابن زيد في مرضه فجعل يبكي ، فقال : ما شأنك ؟ قال : عليَّ دَيْن ، قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر أو بضعة عشر ألف دينار . قال : فهي عليّ .

وروى أبو نُعيم عن زين العابدين أنه أعتق غلامًا له أعطاه فيه عبد الله ابن جعفر عشرة آلاف درهم وألف دينار .

وعن سفيان : كان علي بن الحسين يحمل معه جرابًا فيه خبزٌ ، فيتصدّق

(١) السير ٤ / ٣٠ ، والحلية ٢ / ٨٤ ، ٢ / ٨٧ .
(٢) صحيح . رواه أبو داود ، والحاكم في « المستدرك » عن أبي هريرة وصححه ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١١٢) .

به ويقول : إن الصدقة تُطفئ غضب الرَّبِّ عز وجل .

وكان يقول : ما يسرّني بنصيبي من الذُّلّ حُمْر النَّعم .

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقِر :

قال الوصّافي : كنت عند أبي جعفر فقال : يُدخل أحدكم يده في كمّ أخيه أو كِيسِهِ ، فيأخُذ حاجتَهُ ؟ قلنا : لا . قال : ما أنتم بإخوان(١) .

شِنْشِنَة أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَم .. هذا كرم بيت النبوة .

ويرحم الله من قال من علماء سلفنا : إني لأستحي من الله عز وجل أن أسأله الجنة لأخٍ من إخواني ، أو أقول له : إني أحبك في الله ، ثم أمنعه شيئًا من الدنيا .. لا بل والله الدنيا كلها .

موسى الكاظِمُ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمه الله :

كان رحمه الله إذا بَلَغه عن الرجل ما يكره - يعني من الحاجة - بعث إليه بصُرَّة دنانير ، وكانت صِرارُه ما بين الثلثمائة إلى المائتي دينار فكانت صراره مَثَلًا بالمدينة(٢) .

فقيه الشام أبو عبد الله مكحول :

عن سعيد بن عبد العزيز أن مكحولًا أُعطي مرةً عشرة آلاف دينار ، **فكان يُعطي الرجل من أصحابه خمسين دينارًا ثمن الفرس - أي ليغزو ويجاهد بها في سبيل الله -** .

قال سعيد : وكان مكحول يقول : إذا أَعطيتَ ....

---

(١) إسناده حسن . رواه الدارقطني في المستجاد ، وأبو نعيم ، وابن أبي الدنيا في الإخوان ، وابن عساكر .

(٢) تاريخ الخطيب ١٣ / ٢٧ - ٣٢ .

فاجـبُر[١] .

الحَكَم بن المطّلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي :

سأل أعرابيٌّ الحكمَ بن المطّلب ، فأعطاه مالًا ، فبكى الأعرابيُّ ، فقال الحاكم : ما يُبكيكَ ؟ قال : والله إني أَنْفَسُ على الأرض أن تأكُلَ مثلك إذا متَّ .

وفي العقد الفريد : فقال : ما يُبكيك يا أعرابي ؟ لعلَّك استقللتَ ما أعطيناك ؟ قال : لا والله ، ولكني أبكي لما تأكُل الأرض منك ، ثم أنشأ يقول :

وكأنَّ آدمَ حينَ حانَ وفاتُهُ ... أوصاك وهْو يجودُ بالحَوْباءِ
ببَنِيهِ أنْ ترعاهُمُ فرعيتَهُم ... وكَفَيتَ آدمَ عَيْلَةَ الأبناءِ[٢]

قال العتبي : أخبرني رجل من أهل مَنْبِج ، قال : قدم علينا الحكم ابن حنطب وهو مُملِقٌ فأغنانا . قال له : كيف أغناكم وهو مُملق ؟ قال : علَّمَنا المكارمَ ، فعاد غنيُّنا على فقيرنا .

ولما مات الحكمُ رثاه ابنُ هرمةَ فقال :

سألوا عن الجُودِ والمعروفِ أين هما ... فقلتُ إنهما ماتا مع الحَكَمِ
ماتا مع الرجلِ المُوَفِّي بذِمَّتِهِ ... يومَ الحِفَاظِ إذا لم يُوفَ بالذِّمَمِ
ماذا بَمنْبِجَ لو يُنْشَر مقابرُها ... من التَّهَدُّمِ بالمعروفِ والكرمِ

خيثمة بن عبد الرحمٰن بن أبي سَبْرَة :

كان رحمه الله من فقهاء التابعين .

---

(١) المستجاد للدارقطني صـ ٩١ .

(٢) مكارم الأخلاق صـ ١٣٧ ، والعقد الفريد ١ / ٣٠٢ ، والحوباء : النفس .

وكان رحمه الله يحمل صُرَرًا - وكان موسِرًا - فيجلس في المسجد ، فإذا رأى رجلًا من أصحابه في ثيابه رَثَاثَةٌ ، اعترض له فأعطاه[1].

أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام رحمه الله :

« عن أبي عمر القرشي المكي قال : خرج قوم من قريش ، يريدون بعض الخلفاء في الشام ، فمرّوا قريبًا من أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث ابن هشام ، فقالوا : لو مِلْنا إلى أبي بكر . فمالوا إليه ، فحبسهم ثم أرسل إليهم بثوبٍ فيه مال تحملُه عدَّة ، وقال : لو كان عندنا أكثر من هذا ، أرسلنا به إليكم . فلمّا رأوْا ذلك قالوا : ما نحتاج إلى الذهاب في وجهنا ، في هذا ما نكتفي به . فارتحلوا ، فلم يَدْنُ منهم أحدٌ مِنْ غلمانه وحَشَمِه يُعينهم على رحلتهم ، فلمّا ودّعوه قالوا : لقد رأينا من برِّك وإكرامك وصنيعك ما أعْجَبَنا ، ولكنّا رأينا شيئًا أنكَرناه عند رحلتنا ، لم يدنُ منّا أحدٌ من غلمانك وحشمك فيعيننا على رحلتنا ، حتى تكلّفْنا نحن ذلك . فضحك وقال : إنهم لا يعينون أحدًا على رحلتهم عنا »[2].

هذا والله الكرم يَسْرِي من السَّيِّد إلى خدمه .

عمرو بن عُتبة :

دخل الفرزدق على عمرو بن عتبة وهو في داره بالزاوية ، فجعل يسلِت العرق عن وجهه وقال :

لولا ابنُ عُتبةَ عمرٌو والرَّجاءُ له ... ما كانتِ البصرةُ الحمقاءُ لي وَطَنَا
أعطانيَ المالَ حتى قلتُ : يُودعني ... أو قُلتُ : أودعَ لي مالًا رآه لنا

(١) أبو نعيم في « الحلية » ٤ / ١١٣ ، وابن سعد ٦ / ٢٠٠ .
(٢) « مكارم الأخلاق » لابن أبي الدنيا صـ ١٤٢ .

فجُودهُ مُكسِبٌ شُكرًا ومِنَّتُهُ وكُلَّما ازدَدْتُ شُكرًا زَادَني مِنَنَا
يرمي بِهِمَّتِهِ أقْصَى مسافتِهَا ولا يُريدُ على معروفه ثَمَنَا[1]

محمد بن سيرين :

قال أبو خَلْدة : دخلنا على محمد بن سيرين رحمه الله ؛ أنا وعبدُ الله ابن عون ، فقال : ما أدري ما أُتحِفُكم ؟ كلٌّ منكم في بيته خبزٌ ولحمٌ ، ولكنْ سأُطْعِمُكم شيئًا لا أراه في بيوتكم . فجاء بِشُهْدَةٍ ، فكان يقطع بالسِّكِّين ويُلقمنا[2] .

الحسن البصري :

قال رحمه الله : كُنّا نعدُّ البخيل الذي يُقرض أخاه[3] .

رحمك الله يا أبا سعيد .

قليلٌ منك يكفيني ولكنْ قَليلُك لا يُقالُ له قليلُ

طلحةُ الجودِ .. طلحةُ النَّدَى .. طلحة بن عبد الله بن عوف :

ابنُ أخي عبد الرحمٰن بن عوف .

« قال ابن عائشة : كان طلحة بن عبد الله بن عوف جوادًا ، وَوَلِيَ المدينة ، وأنشدني بعضُ قريش فيه :

يا طَلْحُ أنت أخُو النَّدَى وَعَقِيدُهُ إنَّ النَّدَى إن ماتَ طلحةُ ماتا
إن الفَعَالَ إليكَ أطْلَقَ رَحْلَهُ فبحيثُ بِتَّ مِنَ المنازل باتا

قدم الفرزدقُ المدينة وقد مات طلحة ، فقال : يا أهلَ المدينة ، أنتم

---

(١) مكارم الأخلاق صـ ١٣٤ .
(٢) لباب الآداب صـ ٨٠ - ٨١ .
(٣) حسن . رواه البيهقي في « شعب الإيمان » .

أذلُّ قـومٍ في الأرض . قـالوا : ومـا ذاك ؟ قـال : غَلَبكم المـوتُ على طلحة »[١] .

الطَّلحات المعروفون بالكرم :

قال الأصمعيُّ :

طلحة بن عبيد الله التيمي ، وهو الفيَّاض .

وطلحة بن عمر بن عبيد الله بن عمرو ، وهو طلحة الجواد .

وطلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ، وهو طلحةُ النَّدَى .

وطلحة بن الحسن بن علي ، وهو طلحةُ الخير .

وطلحة بن خلف الخزاعي ، وهو طلحة الطَّلَحاتِ . سُمِّي بذلك لأنه كان أجْوَدَهم[٢] .

طَلْحَةُ الطَّلَحاتِ : طلحة بن عبد الله بن خلف الخُزاعي :

أبو المطرف ، أحد الأجواد المشهورين . وفيه يقول الشاعر :

رحـم الله أعظُمـًا دفنوهـا بِسِجِسْتَان طَلْحَـة الطلحـاتِ

« وَهَبَ في عامٍ واحدٍ ألف جاريةٍ ، فكانت كلُّ جاريةٍ منهن إذا ولدتْ غلامًا ، تسمِّيه طلحة على اسم سيِّدها »[٣] .

« قدم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات يطلب صِلَتَه ، فأخرج إليه حَجَرَيْ ياقوت في دُرْج ، فقال : أيّما أحبُّ إليك : عشرة آلاف ، أو هذان الحجران ؟ فقال : ما كنت لأختار الحجارة على الدراهم . فأعطاه

---

(١) لباب الآداب صـ ٩٥ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٥ / ١٧ .

(٣) الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود للمناوي صـ ٦٩ .

عشرة آلاف درهم ، فقال : إن نفسي قد تتبَّعتْ أحَدَ الحجريْن . فدفعهما إليه . فقال المغيرة :

أرى الناس عاضوا ثم غاضُوا ولا أرى بـني خَـلَفٍ إلّا رواءَ المـواردِ
إذا نفعـوا عـادوا لمـن ينفعونه وكائن تَرَى من نافعٍ غير عائدِ[1]

خارجة بن زيد بن ثابت المفتي الفقيه :

عن صالح بن سنان قال : « لما قدم سليمانُ بن عبد الملك المدينةَ ، أهدى له خارجة بن زيد بن ثابت - رحمه الله - ألف عِرق موز ، وألف قَرْعة عسل أبيض ، وألف شاة ، ومائة أوزّة ، وألف دجاجة ، ومائة جزور ، فقال له سليمان : يا خارجة ، أجحفتَ بنفسك ، وما كنت تصنع بهذا في مثل هذا الموضع ؟! فقال : يا أمير المؤمنين ، قدمتَ بلد رسول الله ﷺ ، ونزلت في بني مالك بن النجّار ، فأنتَ ضيفٌ ، وإنما هذا قِرًى . قال : يغفر الله لك . هذا أجحفُ ببني مخزوم ، وَصَلَكَ الله . قال صالح : فقال سليمان : هذا وأبيكم السُّؤْدُد ! رجلٌ أهدى إليَّ - فسمَّى كلَّ ما أهدى له ، حتى أتى على آخره . ثم سأل : ما عليه من الدين ؟ فقال : خمسة وعشرون ألف دينار . قال : اقضـوها عنه . وأمَرَ له بعشرة آلاف دينار ، وهلك خارجة في تلك السنة حين صَدَرَ سليمان عن الحج »[2] .

قال المناوي : « رجع خارجة بن زيد يومًا إلى داره فرأى فتى جالسًا عليها ، فقال : ما أجْلَسَك هاهنا ؟ قال : خير ، قال : والله لتخبرني . قال : جئت سائلًا أهل هذه الدار ما آكُل ، فخرج إليَّ منها جارية أخذت قلبي وسلبتْ عقلي ، فأنا جالسٌ لعلَّها تخرج ثانيًا فأنظر إليها . قال : أتعرفُها إذا

---

(١) لباب الآداب صـ ٨٩ .

(٢) لباب الآداب صـ ١٠٣ - ١٠٤ .

رأيتَها ؟ قال : نعم . فدعا بمن في الدار من الجواري ، وجعل يعرضهنّ عليه واحدةً واحدةً حتى مرّت الجارية ، فقال : هذه . قال : قف مكانك . ودخل داره وخرج بالجارية ودفَعَهَا إليه ، وقال : إنما أبطأتُ عليك لأنها لم تكُن لي ، بل كانت لبعض بناتي ، فابتعتُها منها ، وقد وهبتُها لك ، وخُذ هذه الآلاف أصْلِحْ بها شأنَك »[١] .

زيد بن وهب الجُهَنِي التابعي :

عن أبي المجالد الجهني : كان زيد بن وهب الجهني إذا خرج عطاؤه ، لم يَدَع أحدًا من كبار أهل ربيعة إلَّا كساه ثوبًا ، ويَهَب لِمَنْ كان صغيرًا درهمًا ، فلا والله ما رأيتُ ألفَيْ درهم أعْظَمَ بركةً من ألفَيْ درهم زيدِ بنِ وهبٍ . وذلك أن القبيلة يظلّون فَرِحِينَ مِن ثيابٍ وطعامٍ ودراهِمَ : الصغير والكبير[٢] .

عبد الرحمٰن بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان :

كان رجلًا فقيهًا فاضلًا موسرًا ، كثير الغزو والحجّ ، أعطى حتى بلغت عطاياه قواعد المسجد . قال : فبينا هو يومًا يتغدّى حيث فرغَ من غدائه ، إذ استأذنَ عليه رجلٌ مكفوف من بني فِهر ، تقوده أَمَةٌ سوداء ، فقال : يا غلام ، طعامك . فأقبل يأكُل معه كأنه لم يأكل شيئًا ، ثم قال : حاجتك ؟ قال : حفظك الله ، شيخ من بني فهر ، لي أربع بنات ، ليس لي ولا لهنّ إلَّا الأمة السوداء ، فإن خدمَتْني أضرّ ذلك بهنّ ؛ وإن خَدَمَتْهُنَّ أضرَّ ذلك بي ، ووالله ما أصبحتُ أملك شيئًا ، فانظُر في حاجتي ، وَصَلَكَ اللهُ . فأقبل يعتذر إليه ، ويذكر مسيره وَمَنْ يأتيه من قومه وما يتكلّف ، فقُلنا :

---

(١) الدر المنضود للمناوي صـ ٧٢ .

(٢) لباب الآداب صـ ١٠٣ - ١٠٥ .

يعطيه خمسة دنانير ، فإن أعطاه عشرة فذلك كثير ! فقال : يا غلام ، أعطه مائة دينار ، وأَخْدِمْ كلَّ ابنةٍ له خادِمًا ، وأعطِهِ قائدًا ، وأجْرِ عليه من مالنا بالسُّقيا كذا وكذا وسقًا من تَمْر . فلمّا نهض الشيخ قيل له : يرحمك الله ، اعتذرت إليه ، فقلنا : يعطيه خمس دنانير ، فإن زاده أعطاه عشرة دنانير ! فقال : إي والله ، لأن يكون فِعْلي أحْسَن من قولي ، أحبُّ إليّ من أن يكون قولي أحسن من فِعْلي[1].

إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، أسَدُ قريش :

قال إبراهيم بن هرمة : أردتُ البناء على ابني ، وخروجًا إلى باديتي – وكان يخرج إلى العُقيق في كلِّ سنةٍ – ومؤنةً للشتاء ، فتفكَّرتُ في قريش ، فلم أذكُر إلا إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فخرجتُ إليه في مالٍ له بين شرقي المدينة وغربيها ممّا يلي أُحُدًا ، يقال له : رحبة ، وقد هيَّأتُ له شِعرًا ، فلمّا جئتُه قال لبنيه : قوموا إلى عمِّكم . فقاموا إليّ حتى أنزلوني عن دابّتي فسلّمتُ عليه ، وجلستُ أتحدّث معه ، ورحّب بي ، وبشَّ إليَّ ، فقلتُ له ، حيث اطمأنّ بي المجلس : أردتُ الباديةَ ، وحَضَر الشتاءُ ومؤنتُه ، وأردتُ أن أجمع على ابني أهْلَهُ ، وكانت الأشياء متعذِّرة فتفكَّرتُ في قومي ، فلم أذكُر إلا أنت وقد هيَّأتُ لك ما أُحبُّ أن تسمعه . فقال : بحقي عليك أن لا تسمعني شعرًا ؛ ففي قَرابتِك ورَحِمك وواجب حقِّك ، ما تُوصل به رحمُك ، وتُقضى به حاجتُك ، فامضِ إلى باديتك واعذرْني فيما يأتيك مني . قال : فلمّا انصرفتُ ، مضيتُ إلى باديتي بالعقيق ، فإني لجالس بعد أيامٍ إذ نظرتُ إلى شُوَيْهاتٍ تتسايل : يتبع بعضُها بعضًا ، فأعجبني ما رأيت من حُسنها ، فما زالت تتسايل حتى انفرشتْ في الوادي ، وإذا غلامان أسودان فيها ،

---

(١) لباب الآداب صـ ١٠٣ – ١٠٥ .

وإنسان راكب على بغلٍ يحمل بين يديه رِزْمَةً ، حتى جاءني فثنى رِجْلَه ، ثم قال : أرسلني إليك أخوك إبراهيمُ بن محمد بن طلحةٍ ، وهذه ثلثمائة شاة من غنمه ، وهذان راعيان ، وهذه أربعون ثوبًا ، ومائتا دينار ، وهو يسألك أن تعذِره[1].

أمير المؤمنين المهدي :

قال المهدي : ما توسّل إليّ أحدٌ بوسيلة ، ولا تذرَّع بذريعةٍ ، هي أقرب من تذكيره إياي يدًا سلفتْ مني إليه ، أُتبعها أُختَها وأُحْسِن رَبَّها ؛ لأن منْع الأواخر يقطع شُكْر الأوائل[2].

إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالإمام :

قدم إبراهيم بن محمد المدينة ، فأَتَتْهُ عجوزٌ من ولد الحارث بن عبد المطّلب ، فشكت إليه ضنْك المعيشة ، فقال : ما يحضرني لك الكثير ، ولا أرضى لك بالقليل ، وإنّا على ظهر سفرٍ ، اقْبَلي ما حضر ، وتفضّلي بالعُذر ، ثم دعا مولًى له ، فقال : ادفع إليها ما بقي من نفقتنا ، وخذي هذا البعير والعبد . فقالت : بأبي وأمي ! أجزل الله لك في الآخرة أجرك ، وأعلى في الدنيا كعبك ، ورفع فيها ذكْرك ، وغفر لك يوم الحساب ذنبك .

وقدم إبراهيم المدينة ، فأتاه قومه يكلّمونه في حمالةٍ ، فأجابهم ، فقال له رجل من الأنصار : أنت والله كما قال الأعشى :

ترى البخلَ مُرًّا والعطاءَ كأنَّما   تَلَذُّ به عذْبًا من الماء بارِدَا
وأحْلَمُ من قيسٍ وأمْضَى من الذي   بِذِي الغيل من جفانٍ أصبح حارِدَا

---

(١) المستجاد صـ ٩٥ - ٩٦ .

(٢) المستجاد صـ ٩٧ .

فقال : يا أخا الأنصار ، لسنا نفعل ما ترى من سعةٍ ، ولكن وَلَدُ أبي - أي بني هاشم - لا يُحسنون إلا ما ترى . ثم تمثّل بقول لبيد :

وبنـو الديّـان لا يأتُـون لا وعـلى ألسُنهم خفَّـت نعـمْ
زيّنتْ أحـلامُهم أحسـابَهـم وكذاك الـدِّينُ زَيْـنٌ للكـرم[1]

مُحمَّد بن عبَّاد بن حبيب بن المهلّب :

كتب المنصور ابنُ المهْدي إلى محمد بن عبَّاد يشكو دَيْنًا وضيقَ ذات يدٍ وجفوة سلطانه ، فبعث إليه بعشرة آلاف دينار .

وكان رحمه الله يقول : منْعُ الموجودِ سوءُ ظنٍّ بالمعبودِ .

عمارة بن حمزة الهاشمي مولاهم :

من أولاد عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما ، وكان سخيًّا ، حتى يخبز في بيته ألفا رغيفٍ كل يومٍ لألفي إنسان .

عبد الرحمـٰـن الكِنـدي :

قال محمد بن يونس بن موسى : كنت عند أبي نعيم ، فجاءه ابنه عبد الرحمـٰن يكلِّمه أن يكلم له رجلًا في حاجته ، فقال : يا بني ، لا تَخْلِقْ وجهي ، فقد ذهب الأحرار . فأعاد عليه ، فزَبَرَهُ ، ثم أقبل عليَّ فقال : يا محمد بن يونس . قلت : لبيك وسعديك . قال : إن الغناء عن الناس بابٌ جَسِيم . ثم قال : لقد جاءني حفصُ بن غياث ومحمد بن بشر معهما رجل ، فقالا : يا أبا نعيم ، قم معنا إلى عبد الرحمـٰن الكندي في حاجةٍ لهذا الرجل . قال أبو نعيم : وكان الكندي كريمًا ما شئت ، فأتيناه ، فقال حفص : يا أبا محمد ، نعرض الحاجة ، وأنت مخيرٌ في القضاء ، قال : وما هي ؟ قال :

---

(١) ابن عساكر (٢ / ٥٤١ / ق) ، والمستجاد صـ ١٠٤ .

إنَّ هذا الرجل اشتريتُ منه ضيعةً بمائة ألف ، هي قُوته وقوت عياله ، وقد جئناك طالبين أن تُقِيله ، وتأخذ المائة الألف ! فقال : ليس إلى الإقالة سبيل ، ولكن يا بُني ، هات عهدة الرجل . فجاء بها ، فأقبل على حفصٍ ، فقال : يا أبا عمرو . وعلى محمد بن بشر ، فقال : يا أبا عبد الله . وعليّ فقال : يا أبا نعيم ، اشهدوا عليّ أنَّ هذه الضيْعة لهذا الرجل بحقوقها ، كما لا حقَّ لي فيها ، ولا دعوى ، ولا طلبة بوجهٍ من الوجوه ، ولا سببٍ من الأسباب ، ورُدَّ يا بني عليه المائة الألفَ وخَراجُها عليّ . قال أبو نعيم : فنحن اليوم في كُسَيْر وعُوَيْر[1] .

« كُسير وعُوير ، وكل غير خير »[2] .

مَسْرُوق بن الأجدع التابعي الجليل :

قال أبو إسحاق السَّبيعي : زوَّج مسروق بنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف ، يجعلها في المجاهدين والمساكين[3] .

عامر بن عبد الله بن الزبير ، الإمام الرباني أبو الحارث :

قال أحمد بن حنبل : حدثنا سفيان أن عامر بن عبد الله اشترى نفسه من الله سِتَّ مرَّاتٍ ، يعني يتصدق كل مرة بدِيَتِهِ[4] .

محمد بن كعب القرظي :

قال الذهبي : قيل : كان له أملاكٌ بالمدينة ، وحصَّل مالًا مرة ، فقيل

---

(١) المستجاد صـ ١١٩ .

(٢) أمثال العسكري ٢ / ١٢٧ . يعنون بالخصلتين المكروهتين والرجلين الرديئين .

(٣) السير ٤ / ٦٦ .

(٤) السير ٥ / ٢١٩ .

له : ادَّخر لولدك ، قال : لا ، ولكن أدخره لنفسي عند ربِّي ، وأدَّخر ربي لولدي[١] .

بكر بن عبد الله المزنيّ :

كان بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله تعالى - يطعم الضيفَ ثم يكسوه إذا أراد الانصراف ، ويقول : إنَّ فَضْلَ إجابَتِهِ إلى طعامي أعظم مما صنعت أنا معه .

حبيب العجمـي :

انتَبَه من رقدة الغفلة ، فخرجَ عن جميع مَالِهِ .

عبد الله بن أبي ربيعة :

كان - رحمه الله تعالى - إذا حَجَمه عبدٌ من عبيده أعتقه ، وإذا كان لغيره اشتراه من مولاه وأعتقه[٢] .

مُحمَّد بن شِهاب الزُّهْريّ :

قال الإمام مالك : كان ابنُ شهابٍ من أسخى الناس ، فلما أصاب تلك الأموال ، قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مرَّ عليك من الضِّيق ، فانظر كيف تكون ، أَمْسِكْ عليك مالك ، قال : إن الكريم لا تحنكه التجارب .

قال الشافعي : قال عمي : ونزل ابن شهاب بماءٍ من المياه ، فالتمس سَلَفًا فلم يجد ، فأمر براحلته فنحرت ، ودعا إليها أهل الماء ، فمرّ به عمُّه ، فدعاه إلى الغداء ، فقال : يا ابن أخي ، إنَّ مروءة سنة تذهب بِذُلِّ الوجهِ

(١) السير ٥ / ٦٨ .

(٢) تنبيه المغترّين للشعراني صـ ٩٠ ، ٩١ .

ساعة ، قال : يا عم ، انزل فاطْعَمْ ، وإلا فامضِ راشدًا .

ونزل مرَّة بماء ، فشكا إليه أهل الماء أن لنا ثماني عشرة امرأة عُمرية ؛ أي لهن أعمار ليس لهن خادم ، فاستسلف ابن شهاب ثمانية عشر ألفًا ، وأخدم كل واحدةٍ خادمًا بألف .

وقال رحمه الله : وجدنا السَّخيَّ لا تَنْفَعُه التجارب .

وقال الشافعي : مَرَّ رجلٌ تاجر بالزهري وهو بقريته ، والرجل يريد الحج ، فأخذ منه بأربعمائةِ دينار إلى أن يرجع من حَجِّهِ ، فلم يبرح الزهري حتى فرَّقه ، فعَرَف الزهريُّ في وجه التاجر الكراهية ، فلما رجع قَضَاه ، وأمر له بثلاثين دينارًا ينفقها .

وقيل للزهري : إنهم يعيبون عليك كثرة الدَّيْن ، قال : وكم دَيْني ؟ قيل : عشرون ألف دينار ، قال : ليس كثيرًا ، وأنا مليء لي خمسةُ أعين ، كل عينٍ منها ثَمَنُ أربعين ألف دينار .

وعن عقيل بن خالد أن ابن شهاب كان يَخْرج إلى الأعراب يُفقِّههم ، فجاء أعرابي وقد نَفِدَ ما بيده ، فمدَّ الزهري يده إلى عمامتي ، فأخذها فأعطاه ، وقال : يا عقيل ، أُعطيك خيرًا منها(١) .

اللَّيثُ بن سَعْد ، إمامُ مصر وفقيهها ومُحدِّثها ومُحْتشمها ورئيسها وَمَنْ يَفْتخر بوجودِهِ الإقليمُ :

قال ابن وهب : كتب مالك إلى الليث بن سعد : إني أريد أن أُدخل بنتي على زوجها ، فأحبُّ أن تبعث لي بشيءٍ من عُصْفرٍ ، فبعث إليه بثلاثين

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٨ - ٣٤١ .

حِمْلًا عصفرًا ، فباع منه بخمسمائة دينارٍ ، وبقي عنده فضلة[١] .

قال أبو داود:قال قتيبة : كان الليث يستغلُّ عشرين ألفَ دينار في كل سنة ، وقال : ما وجبت عليَّ زكاة قَطُّ . وأعطى الليثُ ابنَ لهيعة ألفَ دينار ، وأعطى مالكًا ألف دينار ، وأعطى منصور بن عمار ألفَ دينار ، وجارى تَسْوى ثلاثمائة دينار .

قال : وجاءتْ امرأة إلى الليث ، فقالت : يا أبا الحارث ، إن ابنًا لي عليلٌ ، واشتهى عسلًا ، فقال : يا غلام ، أعطها مِرْطًا من عسلٍ ، والمِرْط : عشرون ومائة رطل .

وقال رحمه الله : ما وجبتْ عليَّ زكاةٌ مُنْذُ بلغتُ .

وقال أبو صالح : سألت امرأةٌ الليثَ مَنًّا من عسلٍ ، فأمر لها بِزِقٍّ ، وقال : سألت على قدرها ، وأعطيناها على قدر السَّعة علينا .

وعن يحيى بن إسحاق قال : جاءت امرأةٌ بسُكُرُّجةٍ[٢] إلى الليث تطلب عسلًا ، فأمر من يحمل معها زِقًا ، فجعلت تأبى ، وجعل الليث يأبى إلَّا أنْ يَحمل معها من عسل ، وقال : نعطيك على قدرنا .

وعن الحارث بن مسكين ، قال : اشترى قومٌ من الليث ثمرةً فاستَغْلَوْها . فاستقالوه فأقالهم ، ثم دعا بخريطةٍ فيها أكياس ، فأمر لهم بخمسين دينارًا ، فقال له ابنه الحارث في ذلك . فقال : اللهم غفْرًا ، إنهم قد كانوا أمَّلُوا فيها أملًا ، فأحببت أن أُعوّضهم من أملهم هذا .

وقال شعيب بن الليث : خرجتُ حَاجًّا مع أبي ، فقدم المدينة ،

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٧ ، ٨ ، وحلية الأولياء ٧ / ٣١٩ ، والسير ٨ / ١٤٨ .
(٢) إناءٌ صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأُدْم ، وهي فارسية .

فبعث إليه مالك بن أنس بطبقِ رطبٍ ، قال : فجعل على الطبق ألف دينار ، وردّه إليه .

وقال عبد الله بن صالح : صحبتُ الليث عشرين سنة ، لا يتغدَّى ولا يتعشَّى إلا مع الناس .

وكان له كل يوم أربعة مجالس ، منها مجلس لحوائج الناس ، لا يسأله أحد فيردّه ، كَبُرتْ حاجتُه أو صَغُرت ، وكان يُطْعم الناسَ في الشِّتاء الهَرَائسَ بعسل النَّحل وسمن البَقَرِ ، وفي الصيف سويق اللَّوزِ في السُّكر[١].

قال قتيبة : قَفَلْنا مع الليث بن سعدٍ من الإسكندرية ، وكان معه ثلاث سفائن ، سفينةٌ فيها مَطْبخه ، وسفينةٌ فيها عائلته ، وسفينة فيها أضيافه[٢].

وقال : ولمَّا احترقتْ كتبُ ابن لهيعة ، بعث إليه الليث من الغد بألف دينارٍ .

قال شعيب بن الليث : يستغلُّ أبي في السَّنَةِ ما بين عشرين ألفَ دينارٍ إلى خمسة وعشرين ألفًا ، يأتي عليه السَّنَة وعليه دَيْنٌ .

قال سعيد الآدم - وكان من سَادَات العُبَّاد -: مررتُ بالليث بن سعد فتنَحْنَح لي ، فرجعت إليه ، فقال لي : يا سعيد ، خُذْ هذا القُنْداقَ[٣] فاكتب لي فيه مَنْ يلزم المسجد ممن لا بضاعة له ولا غلَّة . فقلت : جزاك الله خيرًا يا أبا الحارث ، وأخذت منه القنداقَ ، ثم صرت إلى المنزل ، فلما صليتُ أوقدت السِّراج ، وكتبتُ : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، ثم

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٩ ، وفيات الأعيان ٤ / ١٣١ .

(٢) السير ٨ / ١٥٠ .

(٣) صحيفة الحِسَاب .

قلت : فلان بن فلان . ثم بدرتني نفسي ، فقلت : فلان بن فلان . قال : فبينا أنا على ذلك إذْ أتاني آتٍ ، فقال : هاالله يا سعيد ، تأتي إلى قومٍ عاملوا الله سِرًّا فتكشفهم لآدمي ؟! مات الليث ، ومات شعيب ، أليس مَرْجِعُهُمْ إلى الله الذي عاملوه ؟! فقمتُ ولم أكتب شيئًا ، فلما أصبحتُ أتيت الليث ، فتهلَّل وجهه ، فناولتُه القُنْداق ، فنشره ، فما رأى فيه غير : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، فقال : ما الخبر ؟ فأخبرته بصدقٍ عمّا كانَ ، فصاح صيحةً ، فاجتمع عليه الناس من الحِلَق فسألوه فقال : ليس إلا خير ، ثم أقبل عليّ فقال : يا سعيد ، تَبَيَّنْتَهَا وحُرِمْتُها ، صَدَقتَ ؛ مات الليث ، أليس مرجعهم إلى الله[1] ؟!

عن أبي صالح - كاتب الليث - قال : كُنَّا على باب مالك ، فامتنع عن الحديث ، فقلت : ما يُشبه هذا صاحبنا ؟ قال : فسمعها مالك فأدخلنا ، وقال : من صاحبكم ؟ قلت : الليث . قال : تُشَبِّهونا برجلٍ كَتبتُ إليه في قليل عُصْفرٍ ، نَصْبغ به ثيابَ صِبْياننا ، فأنفذَ منه ما بعنا فَضْلَته بألف دينارٍ[2] .

قال أسَد بن موسى : كان عبد الله بن علي يطلب بني أمية فيقتلهم . قال : فدخلت مصر في هيئةٍ رَثَّةٍ ، فأتيتُ الليث ، فلما فرغت من المجلس ، تبعني خادمٌ له بمائةِ دينار ، وكان في حُزَّتي هِمْيان[3] فيه ألف دينار فأخرجتها ، فقلت : أنا في غنى ، استأذن لي على الشيخ . فاستأذن فدخلت ، وأخبرته بنسبي واعتذرت من الرَّدِّ ، فقال : هي صلةٌ . قلت : أكره أن أُعوِّد نفسي . قال : ادفعها إلى من ترى من أصحاب الحديث .

---

(١) تهذيب الكمال ١١٥٣ ، وتاريخ بغداد ١٣ / ١١ ، ١٢ ، والسير ٨ / ١٥٣ .
(٢) حلية الأولياء ٧ / ٣١٩ ، والسير ٨ / ١٥٧ .
(٣) هي موضع شَدِّ السَّراويل .

قال قتيبة : كان الليث يتصدق كل يوم على ثلاثمائةِ مسكين .

وقال منصور بن عمار : دخلتُ على الليث خلوة ، فأخرج من تحته كيسًا فيه ألف دينار ، وقال : يا أبا السَّري ، لا تُعْلِمْ بها ابني ، فتهون عليه .

رحم الله الليث .. لله دَرُّهُ من إمامٍ عالمٍ بالمروءة ، ورأس في الفتوَّة .

مُحمَّد بن عُمَر الوَاقِديّ :

قال الحسن بن شاذان : قال الواقدي : صَار إليَّ من السُّلطان ستمائة ألف درهم[1] ، ما وجبت عليَّ فيها الزكاة .

قال محمد بن سعد : رآني الواقديُّ مغتمًّا فقال لي : لا تغتمّ ، فإن الرزق يأتي من حيث لا تحتسب ؛ أملقتُ مرةً حتى بعت بِرْذَوني ، فاستبطأني يحيى بن خالد[2] ، فاعتذرت إليه ، فوقف على حالي فأمر لي بخمسمائةِ دينار ، فصرتُ بها إلى البيت ، فأنا في تصريفها في قضاء الدَّيْن والعيال إذ طرقني رجلٌ من أهل المدينة قد قُطع عليه الطريق ، من وَلَد أبي بكرٍ رضي الله عنه ، فشكا إليَّ حاله ، فدفعت إليه ما فضل ، ولم أشتر بِرْذونًا ، فاستبطأني يحيى بن خالد ، فأخبرته الخبر ، فوجَّه إلى البكري فسأله ، فقال : نعم ، أخذتُ الدنانير منه ، فلما صرتُ بها في البيت جاءني فلان الأنصاري ، فشكا إليَّ حاله ، فدفعتها إليه . فوجّه يحيى إلى الأنصاري يسأله : هل وجَّه البكري إليه المال ؟ فأخبره الخبر ، فتعجَّب يحيى بن خالد من الكرم ، ثم أمر لي بألفِ دينار ، وللبكري بمثلها ، وللأنصاري بمثلها ، ولزوجتي بخمسمائةٍ لغمِّها حين

---

(١) يعني في عطاءات متكررة .

(٢) البرامكة كانوا من الزنادقة .

دفعتُ الدنانير إلى البكري .

قال الواقدي : وكان لي صديقان ؛ أحدهما هاشمي ، وكنا كَنَفْسٍ واحدة ، فنالتني ضِيقَةٌ شديدة ، وحضر العيد ، فقالت لي امرأتي : أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صِبياننا فقد قطّعوا قلبي رحمة لهم ؛ لأنهم يرون صِبيان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرَّثّة ، فلو احتلتَ بشيءٍ تصرفه في كسوتهم . فكتبتُ إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليَّ بما حضره ، فوجَّه إليَّ كيسًا مختومًا ، ذَكَر أنَّ فيه ألفَ درهم ، فما استقر قراري حتى كتب إليَّ الصديق الآخر يشكو مثل شكواي إلى صاحبي ، فوجَّهتُ إليه الكيس بحاله ، وخرجتُ إلى المسجد ، فأقمت في ليلي مُسْتحييًا من امرأتي ، ثم رجعت ، فلما دخلتُ عليها استحسنتْ ما كان مني ولم تعنِّفْني عليه ، فبينا أنا كذلك ، إذْ وافاني صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي : اصدقني عمَّا فعلته فيما وجهتُ إليك . فعرَّفْته الخبر على جهته . فقال : إنَّك وجهت إليَّ تسألني العونَ ، وما أملك إلا ما بعثت به إليك ، وكتبتُ إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجَّه إليّ كيسي بخاتمي ، قال الواقدي : فتواسينا الألفَ وقسمناها بيننا أثلاثًا ، بعد أن أخرجنا للمرأة مائة درهم ، ونُمِيَ الخبرُ إلى المأمون ، فدعاني ، فشرحتُ له الأمر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ؛ لكل واحدٍ منا ألفا دينار ، وللمرأة ألف دينار[1] .

الإمـام الشـافعيُّ :

قال أبو ثور : قلَّ ما كان يُمسك الشافعيُّ الشيءَ من سماحته .

---

(١) مُروج الذهب للمسعودي ٧ / ٧٣ - ٧٥ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٢١٢ - ٢١٣ .

وقال عمرو بن سواد : كان الشافعي أسخى الناس على الدِّينار والدِّرْهم والطَّعام ، فقال لي الشافعي : أفلستُ من دهري ثلاث إفلاسات ، فكنتُ أبيع قليلي وكثيري ، حتى حُلّي بنتي وزوجتي ، ولم أَرهن قطُّ .

قال الربيع : أخذ رجلٌ بركَاب الشّافعي ، فقال لي : أعطه أربعةَ دنانير ، واعْذِرْني عنده[1] .

قال المزني : كنتُ مع الشافعي يومًا ، فخرجنا الأكوام ، ومَرَّ بهدفٍ ، فإذا برجلٍ يرمي بقوسٍ عربيَّةٍ ، فوقف عليه الشافعي ينظر ، وكان حَسَن الرمي ، فأصاب بأَسْهمٍ ، فقال الشافعي : أحسنتَ ، وبرَّك عليه ، ثم قال : أعطه ثلاثة دنانير ، واعْذِرني عنده .

وقال الربيع : كان الشافعي مارًّا بالحذَّائين ، فسقط ثوبه ، فوثب غلامٌ ومسحه بكُمِّه وناوله ، فأعطاه سبعة دنانير .

قال الربيع : تزوجتُ ، فسألني الشافعي : كم أَصْدَقْتَهَا ؟ قلتُ : ثلاثين دينارًا ، عجّلتُ منها ستة ، فأعطاني أربعةً وعشرين دينارًا .

وقال الربيع : ناول الشافعي إنسان رُقعةً يقول فيها : إنني بقَّال ، رأس مالي درهم ، وقد تزوجتُ فأعنِّي . فقال : يا ربيع ، أَعْطِهِ ثلاثين دينارًا واعْذرني عنه . فقلت : أصلحك الله ، إنَّ هذا يكفيه عشرة دراهم . فقال : ويحك ! وما يصنع بثلاثين ؟ أفي كذا ، أم في كذا - يَعُدُّ ما يصنع في جهازه - أعطه .

وعن الشافعي قال : خرج هرثمة ، فأقرأني سَلاَمَ أمير المؤمنين هارون ، وقال : قد أمر لك بخمسة آلاف دينار ، قال : فَحُمِلَ إليه المال ،

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢ / ٢٢٠ .

فدعا بحجَّامٍ ، فأخذ شعره ، فأعطاه خمسين دينارًا ، ثم أخذ رِقَاعًا ، فصرَّ صُرَرًا ، وفرّقها في القُرشيين الذين هم بالحضرة وَمَنْ بمكة ، حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مائة دينار .

وقال الحميدي : قدم الشافعي صنعاءَ ، فضُربت له خيمةٌ ، ومعه عشرة آلاف دينار ، فجاء قوم فسألوه ، فما قُلِعت الخيمة ومعه منها شيء[1] .

مَعْنُ بن زَائِدة أبو الوليد الشَّيْباني ، أمير العرب وعَيْن الأجْواد :

حدّثْ عن البحر ولا حَرَج ، وحَدِّثْ عن معن ولا حرج .

قال صاحب شرطة معن : بينا أنا على رأس معنٍ إذا هو براكبٍ يوضع ، قالى : فقال معن : ما أحسب الرجل يريد غيري . قال : ثم قال لحاجبه : لا تحجبه . قال : فجاء حتى مَثُلَ بين يديه . قال : فقال :

أَصْلَحَكَ الله قَلَّ ما بيدي ... فما أُطيق العِيالَ إذْ كَثُروا
ألحَّ دهرٌ رمى بكَلْكَلِه ... فأَرْسَلوني إليك وانْتَظَرُوا

قال : فقال معن - وأخذتْه أرْيَحِية - : لا جَرَم ، والله لأُعجلنَّ أوبتك . ثم قال : يا غلام ، ناقتي الفلانية وألف دينار . فدفعها إليه وهو لا يعرفه .

وقال سعيد بن سلم : لمَّا ولَّى المنصورُ معنَ بن زائدة أذربيجان قَصَده قومٌ من أهل الكوفة ، فلما صاروا ببابِهِ واستأْذَنُوا عليه ، فدخل الآذِنُ فقال : أصلح اللهُ الأمير ، بالباب وفدٌ من أهل العراق . قال : من أي أهل العراق ؟ قال : من الكوفة . قال : ايذنْ لهم . فدخلوا عليه ، فنظر إليهم معن في هيئةٍ رزيَّة ، فوثب على أريكته وأنشأ يقول :

---

(١) مناقب الشافعي للرازي صـ ١٢٨ .

إذا نَوبةٌ نابتْ صديقَك فاغتنمْ مرمَّتَهَا فالدَّهْـرُ بالنـاس قُلَّبُ
فأحسنُ ثوبَيْك الذي هو لابسٌ وأَفْرَهُ مُهْرَيْك الَّذي هو يَركبُ
وبادرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادرًا زوال اقتدارٍ أو غنًى عنكَ يُعْقبُ

قال : فوثب إليه رجلٌ من القوم ، فقال : أصلح الله الأمير ، ألا أنشدك أحسنَ من هذا ؟ قال : لابن عمك ابن هرمة . قال : هاتِ . فأنشأ يقول :

وَلِلنَّفْسِ تاراتٌ تحلُّ بها العُرى وتَسْخُو عن المالِ النُّفوس الشَّحائحُ
إذَا المرءُ لم ينفعْك حيًّا فنفعهُ أقلُّ إذا ضُمَّتْ عليه الصَّفَائحُ
لأيةِ حالٍ يمنعُ المرءُ مَالَه غدًا فغدًا والموتُ غادٍ ورائحُ

فقال معن : أحسنت والله ، وإنْ كان الشِّعْر لغيرك ، يا غلام ، أعطهم أربعة آلافٍ يستعينون بها على أمورهم إلى أنْ يتهيأ لنا فيهم ما نريد . فقال الغلام : يا سيدي،أجعلُها دنانيرَ أم دراهم ؟ فقال مَعن : والله لا تكون همَّتك أرفع من همتي ، صَفِّرْها لهم .

وكتب إليه شاعرٌ ، وقد رأى الحجاب على بابه :

إذا كان الجوادُ له حجابٌ فما فَضْلُ الجَوادِ على البخيل

فقال معن :

إذا كان الجوادُ قليلَ مالٍ ولم يُعْذر تَعلَّلَ بالحجابِ

فقال الشّاعر : إنا لله ، أيُؤْيِسُني من معروفه ؟ ثم ارتحل منصرفًا ، فسأل معنٌ عنه فأخبر بانصرافه ، فأتبعه بعشرة آلافٍ وقال : هي لك عندنا في كلِّ زَوْرةٍ .

ولله دَرُّ من قال في معن :

له راحتان الجُودُ والحَتْفُ فيهما أبى اللهُ إلا أنْ تَضُرَّ وَتَنْفَعَا

وَلَّى أبو جعفر قُثَم - يعني رجلًا من ولد العباس - فأتاه أعرابي فقال :

يا قُثَم الخير جُزيتَ الجَنَّهْ   أُكْسُ بُنَيَّاتي وأُمَّهُنَّهْ
أُقسمُ باللهِ لتَفْعلَنَّهْ

قال : فقال : والله لا أفعل . فقال الأعرابي : لكنْ لو أقسمتُ على معنٍ لأبرَّ قَسَمي ؛ فبلغتْ الكلمةُ معنًا ، فبعث إليه ألف دينار .

وقال السهمي : أذن معن بن زائدة إذنًا عامًّا ، فدخل عليه كلُّ رجل يمُتُّ بوسيلةٍ وذكر حاجته ، ثم دخل في آخرهم فتًى ، فقال : منْ أنت ؟ وما سبيلك ؟ فقال :

أَتاك بيَ الرَّحمٰنُ لا شيءَ غَيْره   وفَضْلٌ وإحسانٌ عليك دليلُ
فشفِّعْ كريمًا سَيِّدًا متفضِّلًا   فليس إلى ردِّ الجليلِ سبيلُ

فقال : يا فتى ، لقد توسلت بأجلّ منْ تَوسَّل به أحد ، فأعطاه وفضّله على سائر من أعطى .

وأتى أعرابي إلى معن بن زائدة ومعه نِطْعٌ فيه صبي حين ولد ، فاستأذن عليه ، فلما دخل دَهْدَه الصبيَّ بين يديه وقال :

سَمَّيْتُ معنًا بمعنٍ ثم قلتُ له   هذا سَمِيُّ فتًى في النَّاسِ مَحْمودُ
أنتَ الجَوادُ ومنْك الجُودُ نَعْرفهُ   ما مِثْلُ جودِكَ مَعهودٌ وموجودُ
أَمْستْ يمينُك عن جودٍ مُصوَّرة   لا بل يمينُك منها صُوِّرَ الجودُ

قال : كم الأبيات ؟ قال : ثلاثة . قال : أعطوه ثلاثمائة دينار ، ولو زدت لزدناك . قال : حَسْبُك ما سمعتَ ، وحَسْبي ما أخذتُ[1] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٣٦ - ٢٤٠ .

وأتاه رجلٌ يسأله أن يَحْمله فقال : يا غلام ، أعطه فرسًا وبِرْذَونًا وَبَغْلًا وَعِيرًا وبعيرًا وجارية ، وقال : لو عرفتُ مَرْكُوبًا غير هؤلاء لأعْطَيْتك[1] .

وهو أول من عمل البيمارستان ، وأخرج الصدقات على الزَّمْنى والمجذومين والعميان والمساكين ، واستخدم لهم الخدَّام .

وقال له رجل : إني جعلتُ فضلك سَبَبي إليك ، وكرمك وسيلة عندك . قال : سَلْ . قال : ألف درهم . قال معن : قد أربحتني أربعة آلاف ، وإني حَدَّثتُ نفسي أن أعطيك خمسة آلافٍ ، قال : أنت أكبر من أن تربح على مؤمليك . فأعطاه خمسة آلاف .

ومما قيل فيه :

أيَا جُودَ معنٍ ناجِ معنًا بِحَاجتي فَمَا لِيْ إلى معنٍ سِوَاكَ رَسُولُ

ومما قيل فيه :

كتبتُ نَعَمْ ببابك حين يدعو **إليك الناسُ مسفرة النِّقَابِ**

وقال فيه الحسين بن مطير الأسدي بعد موته :

ويا قبرَ معنٍ كَيْفَ واريتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ البَرُّ والبَحْر مُتْرَعَا
ولكنْ حَوَيت الجودَ والجودُ مَيِّتٌ ولو كان حيًّا ضِقْتَ حتى تَصَدَّعَا
وما كان إلَّا الجودُ صورةَ وجْهِهِ فعاشَ ربيعًا ثمَّ ولَّى فودَّعَا
فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبح عِرْنِينُ المكارِمِ أَجْدعَا

وكتب رجلٌ إلى معن بن زائدة ، وهو والي اليمن ، يستهديه خِطْرًا ، فأرسل إليه بجرابِ خِطْرٍ ، وفي الخِطر ألف دينار ، وكتب إليه : أنِ

(١) العِقد الفريد ١ / ٣٠٢ .

اختضب بالخطر ، وانتفع بنخالته . وكان الرجلُ قبل أن يكتب إلى معنٍ قد سأل بعض إخوانه خطرًا فلم يبعث إليه ، فلما ورد عليه الخطر من معنٍ أنشأ يقول :

أتانَا أبو العَبَّاسِ ضَنَّ بخِطْرِهِ ... كتَبنَا إلى مَعْنٍ فأهدىٰ لنا خِطرَا
وأهدى دنانيرًا ، وأهدى دراهمًا ... **وأهدى لنا بَزًّا وأهدى لنا عِطرا**
وما النـاسُ إلا مَعـدنَانِ فمعـدِنٌ ... قريشٌ وشيبانُ الَّتي فرَّعتْ بَكرَا

ورثاه مروان بن أبي حفصة فقال :

مَضَـى لِسَـبيله معـنٌ وأبقـىٰ ... مَحـامـدَ لن تَبـيدَ ولنْ تُنَـالَا
وكان النـاسُ كلُّهُـمُ لمعـنٍ ... إلى أنْ زَارَ حفـرته عِـيالَا
ولم يَكُ طـالِبٌ للعرفِ يَنـوي ... إلى غـير ابنِ زائـدةَ ارْتحـالَا
ثوى مَنْ كان يَحْمِل كلَّ ثقلٍ ... ويسبق فيضُ راحتِهِ السـؤالَا
ومـا نَزلَ الوُفـودُ بمثـلِ معـنٍ ... ولا حَطُّـوا بِسـاحته الرِّحَـالَا
وَمَا بلغتْ أكُفُّ ذوي العَطَايَا ... يمينـًا مـن يَديْهِ ولا شِمَـالَا
ومـا كـانت تجـفُّ له حيـاضٌ ... مـن المعـروفِ مُتْرَعـةً سِجالَا
لأبيـضَ لا يعـدُّ المالَ حتى ... يعـمَّ به بغـاةَ الخـيرِ مَـالَا
فلَهْـفَ أبي عليـك إذا العَطَـايا ... جُعلن مُنًى كَوذاب واعْتِلالَا
ولهـفَ أبي عليـك إذا اليتـامى ... غَـدَوْا شُعْثًا كأنَّ بهـم سُلَالَا
ولهفَ أبي عليك إذا المواشي ... رَعَتْ جَدْبًا تموت به هُزالَا
ولهف أبي عليك إذا القـوافي ... لمُمْتَـدحٍ بهـا ذهبتْ ضَـلَالَا
وقلنـا أين نَذْهـبُ بعـد معـنٍ ... وقـد ذهـبَ النـوالُ فَلا نَوالَا[1]

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٤١ - ٢٤٣ .

يزيد بن المُهَلّب :

وكان هشام بن حسّان إذا ذكره قال : والله إنْ كانت السُّفن لتجري في جوده .

قال سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير : اغْرَمْ ديتك خمسين مرَّةً . قال : ليس عندي ما أغرم . قال : والله لتغرمنَّ ديتك مائة مرة . قال يزيد ابن المهلب : أنا أغرمها عنه يا أمير المؤمنين . قال : اغرم . فغرمها عنه مائة ألف .

ومرّ يزيدُ بن المهلب في طريق البصرة بأعرابيةٍ ، فأهدت إليه عنْزًا فقبلها ، وقال لابنه معاوية : ما عندك من نفقة ؟ قال : ثمانمائةِ درهم . قال : ادْفَعْها إليها . قال : إنها لا تعرفك ، ويُرضيها اليسير . قال : إن كانت لا تعرفني ، فأنا أعرف نفسي ، وإنْ كان يرضيها اليسير ، فأنا لا أَرضىٰ إلّا بالكثير .

وكان يقول : إن خير المال ما قُضِيتْ فيه الحقوق ، وحُملت فيه المغارمُ ، وإنما لي من المال ما فضل عن إخواني .

قال الأصمعي : قدم على يزيد بن المهلب قومٌ من قُضَاعة من بني ضِنَّة ، فقال رجل منهم :

والله ما نَدري إذَا ما فَاتَنَا ... طلبٌ إليك مَن الَّذي نَتطلَّبُ
ولقد ضَرَبنا في البلادِ فَلَمْ نَجِدْ ... أَحدًا سواكَ إلى المكارمِ يُنسَبُ
فاصبر لعادتنا التي عَوَّدتنا ... أوْ لَا فَأَرْشدْنا إلى مَنْ نَذْهَبُ

فأمر له بألف دينارٍ ، فلما كان في العام المقبل وفد عليه فقال :

ما لي أرى أبوابهم مهجورة ... وكأنَّ بابَك مَجْمعُ الأسواقِ

حَابوكَ أَمْ هابوكَ أَمْ شامُوا النَّدى بِيَدَيْكَ فاجتمعوا من الآفاقِ
إني رأيتُك للمكَارمِ عاشقًا والمَكْرُمَات قليلةُ العُشَّاقِ
وَلِيَتْ أَنْعُمُكَ البلادَ فأصبحتْ تُجْنى إليك مَكارِمُ الأخلاقِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم(١).

وحج رحمه الله فأتى بحلّاقٍ حلق رأسه ، فأمر له بألف درهم ، فتحيّر ودُهِشَ ، وقال : أمضي إلى فلانةٍ أُبشِّرها ، قال : أعطوه ألفًا أخرى(٢).

الإمام المُبَارَك عَبْدُ الله بن المُبَارَك :

قال إسماعيل بن عياش : لقد حَدَّثني أصحابي أنهم صَحبوهُ - أي ابن المبارك - من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم الخَبِيص ، وهو الدهر صائم .

وانظر إلى كرمه وأدبه ومروءته :

قال عمر بن حفص الصوفي : خرج ابن المبارك من بغداد يريد المِصِّيصة ، فصحبه الصوفية ، فقال لهم : أنتم لكم أنفس تحتشمون أن يُنفق عليكم ، يا غلام ، هات الطَّسْت ، فألقى عليه مِنْديلًا ، ثم قال : يُلقي كلُّ رجلٍ منكم تحت المنديل ما معه ، فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم ، والرجل يلقي عشرين ، فأنفق عليهم إلى المصِّيصة ، ثم قال : هذه بلاد نفير ، فنقسم ما بقي ، فجعل يُعطي الرجل عشرين دينارًا فيقول : يا أبا عبد الرحمن ، إنما أعطيتُ عشرين درهمًا ، فيقول : وما تُنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته(٣).

---

(١) العِقْد الفريد ١ / ٣٠٣ - ٣٠٦ ، والدر المنضود صـ ٨٤ .
(٢) الدر المنضود صـ ٩٠ .
(٣) تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٧ - ١٥٨ ، والسير ٨ / ٣٨٤ - ٣٨٥ .

وقال علي بن الحسن بن شقيق : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج ، اجتمع إليه إخوانه من أهل مَرْو ، فيقولون : نصحبك ، فيقول : هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم ، فيجعلها في صندوق ، ويقفل عليها ، ثم يَكْتري لهم ، ويخرجهم من مَرْو إلى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى ، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زيٍّ وأكمل مروءة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فيقول لكل واحدٍ : ما أَمَرَكَ عيالُكَ أنْ تشتري لهم من المدينة مِنْ طُرَفها ؟ فيقول : كذا وكذا ، ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا قضوا حَجَّهم ، قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالُك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ثم يخرجهم من مكة ، فلا يزال ينفق عليهم إلا أن يصيروا إلى مروٍ ، فيجصِّص بيوتهم وأبوابهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام ، عمل لهم وليمةً وكساهم ، فإذا أكلوا وسُرُّوا ، دعا بالصندوق ، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته عليها اسمه .

وقال : أخبرني خادمه أنه عمل آخر سَفْرةٍ سافرها دعوةً ، فقدَّم إلى الناس خمسةً وعشرين خُوانًا فالوذج . فبلغنا أنه قال للفُضيل : لولاك وأصحابك ما اتَّجرت . وكان ينفق على الفقراء في كلِّ سنة مائة ألف درهم(١) .

وعن سلمة بن سليمان : جاء رجلٌ إلى المبارك ، فسأله أن يقضي دينًا عليه ، فكتب له إلى وكيلٍ له ، فلما وَرَدَ عليه الكِتابُ قال له الوكيل : كم الدَّيْن الذي سألَته قضاءه ؟ قال : سبعمائة درهم . وإذا عبد الله قد كتب له أن يُعطيه سبعة آلاف درهمٍ ، فراجعه الوكيل ، وقال : إنّ الغلّات

---

(١) تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٨ .

قد فنيت . فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغَلّات قد فنيت ، فإن العمر أيضًا قد فنيَ ، فأجزْ له ما سبق به قلمي .

وعن حبان بن موسى قال : عُوتب ابن المبارك فيما يُفرِّقُ من المال في البلدان دون بلده ، قال : إني أعرف مكانَ قومٍ لهم فضلٌ وصدق ، طلبوا الحديث ، فأحسنوا طلبه لحاجةِ الناس إليهم ، احتاجوا ، فإن تركناهم ضاع عِلْمُهم ، وإن أعنّاهم بثّوا العلم لأمة محمد ﷺ ، لا أعلم بعد النبوةِ أفضل من بثّ العلم .

قال أبو إسحاق الطّالقاني : رأيتُ بعيرَيْن محمَّلين دَجَاجًا مَشْويًّا لسُفرة ابنِ المبارك .

وقال الحَسن بن حمَّاد : دخل أبو أسامة على ابن المبارك ، فوجد في وجه عبد الله أثر الضّرِّ ، فلما خرج بعث إليه أربعة آلاف درهم ، وكتب إليه :

وَفَتًى خَلَا من مالِهِ ... ومن المروءة غَيْرُ خَالِ
أعطاكَ قَبْلَ سؤالِهِ ... وكفاك مَكْروهَ السُّؤَالِ

وقال المسيب بن واضح : أرسل ابن المبارك إلى أبي بكر بن عيّاش أربعة آلاف درهم ، فقال : سُدَّ بها فتنة القوم عنك[1] .

خالد بن عبد الله القَسْري ، أبو الهيثم :

كان جَوَادًا مُمدَّحًا معظَّمًا عالي الرتبة ، من نُبلاء الرِّجَال .

قال خالد : إنَّ أكرم الناس من أعطى مَنْ لا يرجوه ، وأعظم الناس عفوًا من عفا عن قُدْرةٍ ، وأَوْصل الناس من وصل عن قطيعةٍ .

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٤١٠ .

وقال رحمه الله على المنبر : إني لأطعم كلَّ يومٍ ستةً وثلاثين ألفًا من الأعرابِ تمرًا وسويقًا .

وأنشد أعرابي :

أخَالدُ بَيْن الحَمْدِ والأجر حاجتي فأيُّهمَا يأتي فأنتَ عِمَادُ
أخالدُ إني لم أَزُرْك لحاجةٍ سوى أنني عافٍ وأنتَ جَوَادُ

فقال : سَلْ ، قال : مائة ألفٍ ، قال : أسرفتَ يا أعرابي ، قال : فأحُطُّ للأمير ؟ قال : نعم . قال : قد حططتك تسعين ألفًا ، فتعجَّبَ منه ، فقال : سألتك على قدرك ، وحططتك على قدري ، وما أستأهله في نفسي ، قال : لا والله ، لا تغلبني ، يا غلام أعطه مائة ألفٍ .

وعن إسماعيل بن عبد الله قال : قدم الراعي الشَّاعر على خالد بن عبد الله القسري ومعه ابنه جندل ، فكان يغشاه مع أبيه ، ثم فقده ، فقال له : ما فعل ابنك ؟ فقال : تُوفِّي - أصلح اللهُ الأمير - بعد أنْ زوَّجْتُه وأصدقته . فأمر له خالد بديةِ ابنه وصداقه ، فقال الراعي :

وَدَيْتَ ابنَ راعي الإبل إذْ حَانَ يَومُه وشقَّ له قبرًا بأرضِكَ لاحدُ
وَقَدْ كَانَ مات الجودُ حتى نَعَشْتَهُ وذَكَّيْتَ نَارَ الجودِ والجودُ خامدُ
فلا حَمَلَتْ أنثى ولا آب غائبٌ ولا وَلدتْ أنثى إذَا مَاتَ خالدُ[1]

إسماعيل بن عيّاش :

عن يحيى الوُحَاظِي : ما رأيتُ رجلًا كان أكبر نَفسًا من إسماعيل بن عيّاش ، كُنَّا إذا أتيناه إلى مزرعته لا يرضى لنا إلا بالخروف والخَبِيص[2] .

(١) لباب الآداب صـ ١٠٥ - ١٠٦ .
(٢) السير ٨ / ٣١٢ - ٣٢٨ .

يعقوب بن شيبة ، الحافظ صاحب المسند المعلّل :

قال يوسف بن البُهلول : حدثني يعقوب بن شيبة قال : أظلَّ عيدٌ من الأعياد رجلًا - يشير إلى نفسه - وعنده مائة دينارٍ ، لا يملك سواها ، فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له : قد أظلَّنا هذا العيد ، ولا شيءَ عندنا ننفقه على الصِّبْيان ، ويستدعي منه ما ينفقه . فجعل المائة دينار في صُرَّةٍ وختمها ، وأنفذها إليه ، فلم تلبث الصُّرَّة عند الرجل إلا يسيرًا حتى وردتْ عليه - أي على الرجل - رقعةُ أخٍ من إخوانه ، وذكر إضَاقته في العيد ، ويستدعي منه مثل ما استدعاه ، فوجَّه بالصُّرَّة إليه بختمها ، وبقي الأول لا شيءَ عنده ، فكتب إلى صديقٍ له وهو الثالث الذي صارت إليه الدَّنانير ، يذكر حاله ، ويستدعي منه ما ينفقه في العيد ، فأنفذ إليه الصرَّة بخاتمها ، فلما عادتْ إليه صرته التي أنفذها بحالها ، ركب إليه ومعه الصرّة وقال له : ما شأن هذه الصرّة التي أنفذتها إليَّ ؟ فقال له : إنه أظلَّنا العيد ، ولا شيءَ عندنا ننفقه على الصبيان ، فكتبتُ إلى فلان أخينا أستدعي منه ما ننفقه ، فأنفذ إليَّ هذه الصرّة ، فلما وردت رقعتُك عليَّ أنفذتها إليك . فقال : قمْ بنا إليه ، فركبَا جميعًا إلى الثاني ومعهما الصرّة ، فتفاوضوا الحديث ، ثم فتحوها فاقتسموها أثلاثًا .

قال أبو الحسن : قال لي أبي : والثلاثة : يعقوب بن شيبة ، وأبو حسان الزيادي ، وأُنسيتُ أنا الثالث[1].

كَـرَمُ عبـدٍ :

خرج عبدُ الله بن جعفر إلى ضِياعهِ ينظر إليها ، فإذا في حائطٍ لنسيب له عبدٌ أسود ، بيده رغيف ، وهو يأكل لقمة ، ويطرح لكَلب لقمة ، فلمَّا

---

(١) صفحات من صبر العلماء صـ ١٨٥ - ١٨٦ .

رأى ذلك استحسنه ، فقال : يا أسود ، لمن أنت ؟ قال : لمصعب بن الزبير . قال : وهذه الضيعة لمن ؟ قال : له . قال : لقد رأيتُ منك عجبًا ، تأكل لقمة وتطرح للكلب لقمة ! قال : إني لأستحيي من عينٍ تنظرُ إليَّ أنْ أُوثر نفسي عليها . قال : فرجع إلى المدينة ، فاشترى الضيعة والعبد ، ثم رجع ، وإذا بالعبد ، فقال : يا أسود ، إني قد اشتريتك من مصعب ، فوثب قائمًا ، وقال : جعلني الله عليك مَيْمونَ الطلعة . قال : وإني اشتريتُ هذه الضَّيْعة . فقال : أكْمَل الله لك خيرها . قال : وإني أُشهدُ أنَّك حُرٌّ لوجه الله . قال : أحسن الله جزاءك . قال : وأُشهد الله أنَّ الضيعة مني هدية لك . قال : جزاك الله بالحسنى . ثم قال العبد : فأُشهد الله وأُشهدكَ أنَّ هذه الضيعة وقفٌ مني على الفقراء . فرجع وهو يقول : العبدُ أكْرَم منَّا[1] .

وفي تاريخ بغداد : روي عن الحسن بن علي أنه كان مَارًّا في بعضِ حِيطان المدينة ، فرأى أَسْودَ بيده رغيف يأكل لقمةً ويُطْعِمُ الكلبَ لقمة ، إلى أنْ شاطره الرَّغيف . فقال له الحسن : ما حملك على أنْ شاطرته ولم تغابنه فيه بشيءٍ ؟ فقال : استَحتْ عيناي من عينيْه أن أغابنه . فقال له : غلامُ من أنت ؟ فقال: غلامُ أبان بن عثمان ، فقال : والحائط ؟ قال : لأبان بن عثمان ، فقال له الحسن : أقسمتُ عليك ، لا برحتَ حتى أَعودَ إليك ، فمرَّ واشترى الغلام والحائط ، وجاء إلى الغلام فقال : يا غلام ، قد اشتريتُك ، قال : فقام قائمًا ، فقال : السَّمعُ والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي ، **قال : وقد اشتريتُ الحائط** ، وأنت حُرٌّ لوجه الله ، والحائط هبةٌ مني إليك . قال : فقال الغلام : يا مولاي ، قد وهبتُ الحائط للذي وهبتني له .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ، تاريخ بغداد ٦ / ٣٤ .

الفَقِيه الإمام المُحدِّث دَعْلَج بنُ أحمد بن دعلج :

قال الحاكم : دعلج الفقيه ، شيخ أهل الحديث في عصره ، له صدقاتٌ جارية على أهل الحديث بمكة وببغداد وسجستان . وقال الخطيب : كان دعلج من ذوي اليَسَار ، له وقوفٌ على أهل الحديث .

قال أبو عمر بن حيويه : أَدْخَلَني دعلج إلى داره ، وأراني بِدَرًا من المال معبأة في منزله ، وقال لي : يا أبا عمر ، خُذْ من هذه ما شئت ، فشكرتُ له ، وقلتُ : أنا في كفايةٍ وغنًى عنها ، فلا حاجة لي فيها .

« وَحَدَّثَ أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحدّاد - وكان من أهل الدِّين والقرآن والصَّلاح - عن شيخ سمّاه ، فذهب عني حفْظ اسمه ، قال : حضرتُ يوم جمعةٍ مسجد الجامع بمدينة المنصور ، فرأيت رجلًا بين يديّ في الصَّفِّ حسن الوقار ، ظاهر الخشوع ، دائم الصلاة ، لم يزل يتنفَّل مُذْ دخل المسجد إلى قرب قيام الصلاة ، ثم جلس ، قال : فعلَتْني هَيْبتُه ، ودخل قلبي محبته ، ثم أقيمت الصلاةُ فلم يُصَلِّ مع الناس الجمعة ، فَكَبُرَ عليَّ ذلك من أمره ، وتعجَّبْتُ من حاله وغاظني فعله ، فلما قُضيت الصلاة تقدمتُ إليه ، وقلت له : أيها الرجل ، ما رأيتُ أعجب من أمرك ! أطلتَ النافلةَ وأحسنتها ، وتركت الفريضة وضَيَّعْتها ؟! فقال : يا هذا ، إنَّ لي عذرًا ، وبي علةٌ منعتني عن الصلاة ، قلت : وما هي ؟ فقال : أنا رجلٌ عليَّ دَيْنٌ اختفَيتُ في منزلي مدةً بسببه ، ثم حضرتُ اليوم الجامع للصلاة ، فقبل أن تقام التفتُّ فرأيتُ صاحبي الذي له الديْن عليَّ ورائي ، فمن خوفِه أحدثتُ في ثيابي ، فهذا خبري ، فأسألك بالله إلَّا سترتَ عليَّ وكتمتَ أمري . قال : فقلت : وَمَن الذي له عليك دَيْن ؟ قال : دعلج بن أحمد ، قال : وكان إلى جانبه صاحبٌ لدعلج قد صلَّى وهو لا يعرفه ، فسمع هذا القول ،

ومضى في الوقت إلى دعلج ، فذكر له القصة ، فقال لهُ دعلج : امض إلى الرجل واحْمله إلى الحمام ، واطرح عليه خُلْعةً من ثيابي ، وأجلسْه في منزلي حتى أنصرف من الجامع ، ففعل الرجل ذلك ، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأُحضرَ ، فأكل هو والرجل ، ثم أخرج حِسَابَه فنظر فيه ، وإذا له عليه خمسة آلاف درهم ، فقال له : انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نَسِيٌّ نقدٍ . فقال الرجل : لا ، فضرب دعلج على حسابه . وكتب تحته علامة الوفاء ، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال : أمَّا الحساب الأول فقد حللناك مما بيننا وبينك فيه ، وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف الدرهم ، وتجعلنا في حلٍّ من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيَّانا في مسجد الجامع .

وأودع أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشميّ عشرة آلاف دينارٍ ليتيم ، فضاقت يده فامتدت إليها ، فأنفقها وحلَّ موعدُ فَكِّ الحجر عن الغلام ، وضاقتْ بالهاشمي الأرضُ بما رَحُبَتْ ، فذهب إلى دعلج وقصَّ عليه القصة ، فأعطاه إياها ، حتى كاد عَقْلُه يطير فرحًا ، وبعد ثلاث سنين أتى بها إلى دعلج شاكرًا فما قبلها ، وقال : يا سبحانَ الله ، والله ما خَرجتْ الدنانيرُ عن يدي فنويت آخذ عِوَضها ، حَلِّ بها الصِّبْيان »[1].

لؤلؤ العَادلي ، الحاجب ، من أبطال الإسلام :

خدم مع صلاح الدِّين ، وفي آخر أيامه أقبل على الخير والإنفاق في زمن قَحْطِ مصر ، وكان يتصدق في كل يوم باثني عشر ألف رغيفٍ مع عدة قُدُورٍ من الطَّعام[2].

---

(١) تاريخ بغداد ٨ / ٣٨٩ - ٣٩١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٨٤ - ٣٨٥ .

عَبْدُ القَادِر الجِيلانيّ :

قال الإمام الرَّبَّاني عبد القادر الجيلاني : « فَتَّشتُ الأعمال كلَّها ، فما وجدتُ فيها أفضل من إطعام الطعام ، أَوَدُّ لو أن الدنيا بيدي فأُطْعِمُهَا الجياعَ ، كَفِّي مثقوبةٌ لا تضبط شيئًا ، لو جاءني ألفُ دينارٍ لم أبيِّتها »[١].

شيخُ الإسلام ابن تَيْمِيَة :

قال الذهبي عن شيخ الإسلام : « هو أحد الأَجْوادِ الأسخياء الَّذين يُضْرَبُ بهم المَثَل »[٢].

وقال الحافظ عمر البزّار في « الأعلام العليَّة في مناقب ابن تيمية » (٦٣ - ٦٧) :

كان رضي الله عنه مجبولًا على الكرم ، وما شدَّ على دينارٍ ولا درهمٍ قطُّ ، بل كان مَهْمَا قدر على شيءٍ من ذلك ، يجود به كله ، وكان لا يردُّ من يسأله شيئًا يقدر عليه من دراهم ولا دنانير ولا ثياب ولا كتب ولا غير ذلك .

بل ربَّما كان يسأله بعضُ الفقراء شيئًا من النفقة ، فإن كان حينئذٍ متعذرًا لا يَدَعهُ يذهب بلا شيءٍ ، بل كان يَعْمَدُ إلى شيءٍ من لباسه فيدفعه إليه . وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله .

قال الشيخ عبد الله بن أحمد بن سعيد : كنتُ يومًا جالسًا بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه ، فجاءه إنسان فسلَّم عليه ، فرآه الشيخ مُحتاجًا إلى ما يعتَمُّ به ، فنزع الشيخ عمامته ، من غير أن يسأله الرجل ذلك ، فقطعها نصفين ، واعْتَمَّ بنصفها ، ودفع النصف الآخر إلى ذلك

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٤٧ .

(٢) العقود الدرية لابن عبد الهادي صـ ٢٣ .

الرجل ، ولم يحتشم للحاضرين عنده .

وكان الشيخ مَارًّا يومًا في بعض الأزقّة ، فدعا له بعض الفقراء ، وعرف الشيخ حاجته ، ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه ، فنزع ثوبًا على جلده ودفعه إليه ، وقال : بِعْهُ بما تيسَّر وأنفقه ، واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة . وكان لا يردُّ أحدًا يسأله شيئًا من كتبه ، بل يأمره أن يأخذَ هو بنفسه ما يشاء منها .

وحكى غيرُ واحدٍ ما اشتهر عنه من كثرة الإيثار ، وتَفَقُّد المحتاجين والغرباء ، ورقيقي الحال من الفقهاء والقُرَّاء ، واجتهاده في مصالحهم وصلاتهم ، ومساعدته لهم ، بل ولكل أحدٍ من العامة والخاصة ممن يُمكنه فعل الخير معه ، وإسداء المعروف إليه بقوله وفعله ، ووجهه وجاهه[1] .

عِكْرَمةُ الفَيَّاض الرّبعي ، جَابِرُ عَثَراتِ الكِرَام :

كان في أيَّام سليمان بن عبد الملك رجلٌ يقال له : خزيمة بن بشر ، من بني أسد بالرقَّة ، وكان له مروءةٌ ونعمة حسنة ، وفضلٌ وبرٌّ بالإخوان ، فلم يزل على تلك الحال حتى احتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضَّل عليهم ، فواسَوْه حينًا ثم مَلُّوه ، فلما لاح تغيُّرهم أتى امرأته - وكانت ابنة عمه - فقال لها : يا ابنة عمي ، قد رأيتُ من إخواني تغيُّرًا ، وقد عزمتُ على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت ، ثم إنه أغلق بابه ، وأقام يتقوَّتُ بما عنده حتى نفد ، وبقي حائرًا في حاله ، وكان عكرمة الفياض الربعي واليًا على الجزيرة ، فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد ، إذ جرى ذِكْرُ خزيمة بن بشر في مجلسه ، فقال عكرمة : ما حاله ؟ فقالوا : صار من سوءِ الحال إلى

---

(١) الأعلام العليّة في مناقب ابن تيمية ، للبزار صـ ٥٠ .

أمرٍ لا يُوصف ، فأغلق بابه ولزم بيته . فقال الفيّاض : فما وَجَدَ خزيمةُ بن بشر مواسيًا ولا مكافِئًا ؟! قالوا : لا . فأمسك ، ثم لمَّا كان الليل عمد إلى أربعةِ آلافِ دينارٍ ، فجعلها في كيس واحد ، ثم أمر بإسراجِ دابَّته ، وخرج سرًّا من أهله ، فَرَكِبَ ومعه غلامٌ من غلمانه يحمل المال ، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة ، ثم أخذ الكيس من الغلام ، ثم أبعده عنه ، وتقدَّم فدفعه بنفسه ، فخرج إليه خزيمة ، فناوله الكيس وقال : أَصْلِحْ بهذا شأنك . فتناوله ، فرآه ثقيلًا ، فوضعه ، ثم أمسك بلجام الدابة ، وقال له : منْ أنت جُعلتُ فداك ؟ فقال : يا هذا ، ما جئتك في هذه السَّاعة وأنا أريد أن تعرفني . قال خزيمة : فما أقبله أوْ تُعرِّفني من أنت . قال : أنا جابر عثرات الكرام . قال : زدني . قال : لا مزيد . ثم مضى ، ودخل خزيمة بالكيس إلى امرأته فقال لها : أبشري ، فقد أتى الله بالفرج والخير ، ولو كان هذا فلوسًا فهو كثير ، قومي فأسرجي . قالت : لا سبيل إلى السِّراج ، فبات يلمسها فيجد خشونة الدنانير ولا يصدّق ، فرجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه ، فأُخبرت بركوبه منفردًا ، فارتابت فشقّت جيبها ولطمت خدَّها ، فلما رآها على تلك الحال قال لها : ما دَهَاكِ ؟ قالت : يا ابن عمي ، غدرتَ . قال : وما ذاك ؟ قالت : أميرُ الجزيرة يخرج بعد هدوءٍ من الليل منفردًا عن غلمانه ، في سرٍّ من أهله إلَّا إلى زوجةٍ أو سُرِّيّة ؟ قال : لقد علم اللهُ ما خرجت إلى واحدة منهما . قالت : فخبِّرني فيمَ خرجت ؟ قال : يا هذه ، لم أخرج في هذا الوقت ، وأنا أريد أن يعلم بي أحدٌ . قالت : لابدّ أن تخبرني بالقصة . قال : فاكْتُميهِ إذًا . قالت : أفعل . فأخبرها بالقصة على وجهها ، وما كان من قوله له وردّه عليه ، ثم قال لها : أتحبين أن أحلف لك ؟ قالت : لا ، فإن قلبي قد سَكَنَ إلى ما ذكرت . فلما أصبح خزيمة صالحَ الغُرَمَاء ، وأصلح حاله ، ثم تجهَّز

يريد سليمان بن عبد الملك بفلسْطِين ، فلما وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه - وكان مَشْهورَ المروءة ، وكان سليمان به عارفًا - فأذن له ، فلما دخل عليه وسلّم بالخلافة . قال : يا خزيمة ، ما أبطأكَ عنَّا ؟ قال : سوءُ الحال . قال : فما منعك من النَّهْضة إلينا ؟ قال : ضعفي . قال : فبِمَ نهضتَ ؟ قال : لم أعلم بعد هدوءٍ من الليل إلا ورجل طرق بابي ، فكان منه كَيْتَ وكَيْتَ ، وأخبره بقصَّته من أولها إلى آخرها ، فقال له : هل تعرفه ؟ قال : ما عرفتُه يا أميرَ المؤمنين ، وذلك أنه كان متنكرًا ، وما سمعتُ منه إلا : « جابر عثرات الكرام » . فتلَهّفَ سليمانُ على معرفته وقال : لو عرفناه لأعنَّاه على مروءته ، ثم قال : عليَّ بقناةٍ . فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرةِ التي على عَمَلْ عِكرمة الفيَّاض ، فخرج خزيمة طالبًا الجزيرة ، فلما وصل إليها خرج عكرمةُ وأهل بلده للقائه ، فسلّم عليه ، ثم سارَا جميعًا إلى أنْ دخلَا جميعًا ، فنزل خزيمةُ دارَ الإمارة ، وأمر أن يُؤخذ عكرمة بكفيلٍ وأن يُحاسب ، فحوسب فوُجد عليه فضولٌ كثيرة ، فطالبه بأدائها ، قال : ما لي إلى شيءٍ منها سبيل . قال : لابدَّ منها . قال : ما هي عندي ، فاصنع ما أنت صانع . فأمر به إلى الحَبْس ، ثم بعث إليه يطالبه ، فأرسل إليه : لستُ ممن يصون ماله بعرضه ، فاصْنعْ ما شئت . فأمر به فكُبِّل بالحديد ، وضُيِّق عليه ، وأقام كذلك شهرًا أو أكثر ، فأضناه ذلك وأضرَّ به ، وبلغ ابنةَ عمه ضُرُّه ، فجزعتْ واغتمتْ لذلك ، ثم دعت مولاةً لها ذات عقل . فقالت : امضِ السَّاعة إلى باب هذا الأمير خزيمة ابن بشر ، فإذا دخلتِ عليه فسليه أن يُخْلِيَك ، فإذا فعل فقولي له : ما كان هذا جزاءُ « جابر عثرات الكرام » منك أن كافأتَه بالحَبْس والضيق والحديد ، ففعلتْ ذلك ، فلما سمع خزيمة قولها قال : وَاسَوْءَتَاهُ ، وإنَّه لهو ؟ قالت : نعم . فأمر من وقته بدابته فأُسرجتْ ، وبعث إلى وجوه أهل

البلد فجمعهم ، وأتى بهم إلى الحبس ففُتح ، ودخل خزيمة ومن معه ، فلقي عكرمةَ في قاعة الحبس متغيّرًا ، قد أضناه الضرّ ، فلما نظر إليه عكرمةُ وإلى الناس أحْشَمَه ذلك ، فنكَّسَ رأسه إليه وقال : ما أعقبَ هذا منك ؟ قال : كريمُ فعالك وسوءُ مكافأتي . قال : يغفرُ الله لنا ولك ، ثم أمر بالحدّاد ففكَّ القيد عنه ، وأمر خزيمة أن يوضع في رجله نفْسه ، فقال عكرمة : تريد ماذا ؟ قال : أريد أن ينالني من الضرّ مثل ما نالك ! فقال : أُقسم عليك بالله ألا تفعل . فخرجَا جميعًا إلى أن وصلَا إلى دار خزيمة ، فودَّعه عكرمة وأراد الانصراف ، فقال له : ما أنت ببارحٍ ، قال : فماذا تريد ؟ قال : أُغيِّرُ من حالك ما رَثَّ ، وحيائي من ابنة عمك أشدُّ من حيائي منك ، ثم أمر بالحمَّام فأُخْلي ، فدخلَا جميعًا ، ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ، ثم خرجَا ، فخلع عليه وجمَّله ، وحمل إليه مالًا كثيرًا ، ثم سار معه إلى داره ، واستأذن في الاعتذار من ابنة عمه فأذن له ، فاعتذر إليها وتذمَّمَ من ذلك ، ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى أمير المؤمنين سليمان ابن عبد الملك ، وهو يومئذ مقيمٌ بالرملة ، فأنعم له بذلك ، فسارَا جميعًا حتى قدمَا على سليمان بن عبد الملك ، فدخل الحاجبُ فأعلمه بقدومِ خزيمة بن بشر ، فرَاعَه ذلك ، وقال : والي الجزيرة يَقْدم بغير أمْرِنَا ، ما هذا إلَّا لحادثٍ عظيم ، فلما دخل عليه قال له قبل أن يُسَلم : ما وراءك يا خزيمة ؟ قال : خير يا أمير المؤمنين . قال : فما الذي أقدمك ؟ قال : ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرَّك ، لِمَا رأيتُ من تلهفك عليه وتشوُّقك إلى رؤيته . قال : ومن هو ؟ قال : عكرمة الفيّاض ، فأذن له بالدخول ، فدخل وسلَّم عليه بالخلافة ، فرحَّب به وأدناه من مجلسه . فقال له : يا عكرمة ، ما كان خَيْرُكَ لخزيمة إلَّا وَبَالًا عليك ، ثم قال له : اكتب حوائجك كلَّها وما تختاره في رقعة . قال : أوَ تعفِيني يا أمير المؤمنين ؟

قال : لابدَّ من ذلك . ثم دعا بدواة وقرطاس وقال : اعتزل واكتب جميع حوائجك ، ففعل ذلك ، فأمر بقضائها جميعًا من ساعته ، وأمر له بعشرة آلاف دينارٍ ، وبِسفْطَيْن ثيابًا ثم دعا بقناةٍ وعَقَد له على الجزيرة وأرْمينيًّا وأذربيجان ، وقال له : أَمْرُ خزيمة إليك ، إن شئتَ أبقيته ، وإن شئت عزلته . قال : بل أردُّه إلى عمله ، ثم انصرفَا جميعًا ، ولم يزالا عاملَيْن لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته[1] .

كَرَمُ رجلٍ مع قاتلِ أبيه :

عن الحسن بن خضر قال : لما أفضتِ الخلافةُ إلى بني العباس اختفتْ رجالٌ من بني أُميَّة ، وكان فيمن اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ، حتى أَخَذ له داود بن العباس أمانًا ، وكان إبراهيم رجلًا حَدُثا[2] ، فَخُصَّ بأبي العباس ، فقال له يومًا : حدّثني عن ما مرَّ بك في اختفائك ؟ قال : كنتُ - يا أميرَ المؤمنين - مختفيًا بالحِيرَةِ ، في منزلٍ شارع إلى الصحراء ، فبينا أنا على ظهر بيتٍ إذْ نظرتُ إلى أعلامٍ سود قد خرجتْ من الكوفة تريد الحيرة ، فوقع في رُوعي أنها تريدني ، فخرجتُ من الدار متنكِّرًا ، حتى أتيتُ الكوفة ، ولا أعرف بها أحدًا أختفي عنده ، فبقيتُ مُتلدِّدًا[3] ، فإذا بباب كبير ، ورحبة واسعة ، فدخلت فيها ، فإذا رجل وسيم الهيئة على فرسٍ قد دخل الرحبة ، ومعه جماعةٌ من غلمانه وأتباعه ، فقال : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ فقلت : رجل مختفٍ يخاف على دمهِ ، استجار بمنزلك . فَأَدْخَلَني

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد صـ ١٨ - ٢٢ ، لأبي القاسم التنوخي ، ط . دار العرب .

(٢) أي كثير الحديث ، حسن السياقة له .

(٣) التلدد : أنْ يحتارَ فيلتفتُ يمينًا وشمالًا .

منزله ، ثم صَيَّرني في حجرة تلي حُرمه ، وكنت عنده فيما أُحبُّ من مطعمٍ ومشرب وملبس ، ولا يسألني عن شيءٍ من حالي ، إلَّا أنه يركب في كل يوم رَكْبة ، فقلتُ له يومًا : أراك تُدْمن الركوب ، ففيم ذلك ؟ فقال : إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرًا ، وقد بلغني أنه مُخْتفٍ ، وأنا أطلبه لأدرك منه ثأري . فكثر والله تعجُّبي ؛ إذْ ساقني القدرُ إلى حتفي في منزل من يطلب دمي ! وكرهتُ الحياة ، فسألتُ الرجل عن اسمه واسم أبيه فخبّرني ، فعرفت أن الخبر صحيح ، وأنا قتلتُ أباه صبرًا ، فقلتُ : يا هذا ، قد وَجَبَ عليّ حَقُّك ، ومن حقك عليَّ أن أدلك على خصمك ، وأُقرِّب عليَّ الخطوة . قال : وما ذاك ؟ قلت : أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك ، فخذ بثأرك . فقال : إني أحسبك رجلًا قد مَضَّه[1] الاختفاء فأحبَّ الموت . فقلت : بل الحق ما قلت لك ، أنا قتلته يوم كذا وكذا ، بسبب كذا وكذا ، فلما عرف صدقي ارْبَدّ وجهه واحمرت عيناه ، وأطرق مَليًّا ، ثم قال : أمّا أنت فستلقى أبي فيأخذ بثأره منك ، وأمَّا أنا فغير مُخْفِرٍ ذمَّتي ، فاخرج عني ، فلستُ آمن نفسي عليك . وأعطاني ألفَ دينار . فأخذتها وخرجت من عنده . فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين[2] .

عبد الحمِيد بن سَعْد ، أمير مِصْر :

أجدب الناسُ بمصرَ وعبد الحمِيد بن سعد أميرهم ، فقال : والله لأعلمنَّ الشيطان أني عدوه ؛ فَقَالَ[3] مَحَاوِيجَهُم إلى أن رَخُصَت الأسعار ، ثم عُزل عنهم ، فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم ، فرهنهم بها حلّي نسائه

(١) مضه وأمَضَّه ؛ أي شقّ عليه .
(٢) لباب الآداب ١٢٨ - ١٢٩ .
(٣) يعني أقال .

وقيمتها خمسمائة ألف ألف ، فلما تعذَّر عليه ارتجاعُهَا كَتَب إليهم بيعها ، وَدَفَعَ الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صِلاته[١] .

أبـو مَـرْثَـد :

وكان أبو مرثد أحد الكرماء ، فمدحه بعض الشعراء ، فقال للشاعر : والله ما عندي ما أعطيك ، ولكن قدِّمْني إلى القاضي ، وادّع عليَّ بعشرة آلاف درهم حتى أقرَّ لك بها ، ثم احبسني ، فإن أهلي لا يتركوني محبوسًا . ففعل ذلك ، فلم يُمْسِ حتى دُفع إليه عشرة آلاف درهم . وأُخرج أبو مرثد من السجن[٢] .

سَعـيد بن خـالد :

دخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك ، وكان سعيد رجلًا جـوادًا ، فإذا لم يجد شيئًا كتب لمن سأله صَكًّا على نفسه حتى يَخْرج عطاؤه ، فلمّا نظر إليه تمثَّل بهذا البيت فقال :

إني سمعتُ مع الصَّباحِ مُناديًا   يَا مَنْ يُعينُ على الفَتىٰ المِعْوانِ

ثم قال : ما حاجتك ؟ قال : دَيْنٌ عليَّ ، قال : وكم هو ؟ قال : ثلاثون ألف دينار . قال : لك دَيْنك ومثله .

الأَشْعَـث بن قَيْـس :

عن الأغرِّ : كان الأشعث بن قيس لا يَقْدم من سفرٍ فيصلي الفجر إلَّا كَسَا أهل المسجد وَوَصَلهم ، قال : وكانت لي على رجلٍ من كِنْدة ألف وخمسمائة درهم ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : ما عندي شيءٌ ، ولكن الأشعث

---

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٦٣ .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٢٦٣ .

قد قدم اليوم ، وما قدم من سفرٍ قَطُّ فصلّى الفجر في المسجد إلا كَسَا ووصل ، فاحْضرْنا بالغداة فصَلِّ معنا ، فإني لأرجو أنْ تأخذ مَالَكَ . قال : فصليتُ معهم الفجر ، فلما سلَّم الإمامُ قام رجل فقال : أَيُّهَا القوم ، أقيموا في صفوفكم ، ثم أعطى كلَّ رجلٍ حلةً وخمسمائة درهم ، فقال : فجاءني الرجل فأعطاني الخمسمائة درهم التي دُفعتْ إليه ، وأُعطيت أنا خمسمائة أخرى لنفسي ، فانصرفتُ بألف درهم[1].

حَمَّاد بن أبي سُلَيْمان :

قال الشافعي : لا أزال أحب حمّاد بن أبي سليمان لشيءٍ بلغني عنه ؛ أنه كان ذات يوم راكبًا حماره فحرَّكه فانقطع زرُّه ، فمرَّ على خيَّاطٍ ، فأراد أن ينزل إليه ليُسوي زرَّه ، فقال الخيّاط : والله لا نزلتَ . فقام الخيّاط إليه فسوّى زرَّه ، فأخرج إليه صُرَّة فيها عشرة دنانير ، فسلَّمها إلى الخيّاط واعتذر من قلَّتها . وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه :

يَا لَهْفَ قلبي على مالٍ أجُودُ به ... على المُقِلِّينَ من أهل المروءاتِ
إنَّ اعتذاري إلى مَنْ جاء يسألني ... ما ليس عندي من إحدى المصيباتِ

شعبة بن الحجاج :

جاء سائلٌ إلى شعبة وليس عنده شيء ؛ فنزع خَشَبَةً من سقف بيته ثم اعتذر إليه[2].

قال عبد الملك بن مَرْوان لأسماء بن خارجة : بلغني عنك خصالٌ ، فحدِّثْني بها . فقال : هي من غيري أحْسَن منها مني ، فقال : عزمتُ عليك

---

(١) لباب الآداب صـ ١٠٤ .
(٢) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٧٣ .

إلَّا حدّثتني بها . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما مددتُ رِجلي بين يدي جليسٍ لي قطُّ ، ولا صنعتُ طعامًا قطّ فدعوتُ عليه قومًا ، إلَّا كانوا أمَنّ عليَّ مني عليهم ، ولا نَصَبَ لي رجلٌ وجهَهُ قطُّ يسألني شيئًا فاستكثرتُ شيئًا أعطيتُه إيَّاهُ[1] .

كَهْمَس العابد :

عن إسحاق بن إبراهيم قال : دخلنا على كهمس العابد رحمه الله ، فقدَّم إلينا إحدى عشرة تمرة حمراء ، وقال : هذا الجهد من أخيكم ، والله المستعان[2] .

عن بكر بن عبد الله المُزَني رحمه الله ، قال : إذا أتاك الضَّيفُ فلا تنتظر به ما ليس عندك ، وتمنعه ما عندك ، قدِّمْ له ما حَضَر ، وانتظر بعد ذلك ما تريد من إكرامه .

الشيخ عبد العزيز بن باز :

وما ظنُّك بكرم إمامٍ ما أكل طعامًا إلَّا بحضرة الضيف أو العلماء أو طلبةِ العلم طيلة ثلاثين عامًا ، وَتُمَدُّ الموائد دائمًا ببيته ، فيتناول الناسُ من طعامه ، وينهلون من علمه ، ويتعلّمون من أدبه وخلقه . وما ادَّخر شيئًا من مالٍ ، إنما يُنفقه على طلبة العلم . لله دَرُّه .

* * *

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٦٥ .
(٢) لباب الآداب صـ ٨٠ .

□ صُورٌ من الإنفاق في سبيل الله □

أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه :

قال أنس : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا من نخلٍ ، وكان أحَبّ أمواله إليه بَيْرَحَاء ، وكانت مُسْتقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طَيِّب . قال أنس : فلمَّا أُنزلت هذه الآية : ﴿ **لن تنالوا البِرَّ حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ وإن أَحَبَّ أموالي إليّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو بِرَّها وَذُخْرها عند الله ، فَضَعْها يا رسول الله حيث أراك الله ، قال : **فقال رسول الله ﷺ : « بَخٍ ، ذلك مالٌ رابحٌ ، ذلك مال رابح ،** وقد سمعتُ ما قلتَ ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين » . فقال أبو طلحة : أَفْعَلُ يا رسول الله . فقسَّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمِّه[1].

الرَّبيع بن خُثَيم :

عن منذر أن الرَّبيع كان إذا أخذ عطاءه فرَّقه ، وتَرَكَ قَدْرَ ما يكفيه[2].

وروى بشير بن دعلوف عن الربيع بن خثيم أنه وقف سائلٌ على بابه فقال : أطعموه سُكَّرًا ؛ فإن الربيع يحب السُّكَّر[3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب « الزكاة » ، باب « الزكاة على الأقارب » ، ومسلم ومالك والترمذي والنسائي .

(٢) السير ٤ / ٢٥٨ - ٢٦٢ .

(٣) « التبصرة » لابن الجوزي ٢ / ٢٥٥ .

« وكان الربيع - رحمه الله تعالى - لا يُعطي السائل كِسرةً ولا شيئًا مكسورًا ولا ثوبًا خَلِقًا ، ويقول : أستحيي أن تُقرأ صحيفتي على الله تعالى وفيها الأشياء التافهة التي أعطيتها لأجله »(١).

وعن منذر الثوري ، عن ربيع بن خُثيم أنه قال لأهله : اصنعوا لنا خَبيصًا . فصُنِع ، فدعا رجلًا كان به خَبَل ، فجعل يُلقمه ولُعابُه يسيل ، فلمّا أكل وخرج ، قال له أهله : تكلّفنا وصنعْنا ثم أطعمتَهُ ، ما يدري هذا ما أكَل ! قال الربيع : لكنّ الله يدري(٢).

إبراهيم التّيْمي :

كان رحمه الله يجمع كلَّ قليل جماعةً من الفقراء ، ويُجلسهم في المسجد ، ويقول لهم : تعبَّدُوا وأنا أقوم بخدمتكم ومُؤْنَتِكم(٣).

أبو حفص النَّيْسابُورِي :

الإمام القُدوة الرَّبَّانيّ شيخ خُراسان .

قال عنه الذهبي في ترجمته في السير (١٢ / ٥١٠ - ٥١٣) : « أنفذ في يومٍ واحد بضعة عشر ألف دينار يفتكُّ به أَسْرى ، فلمَّا أمسى لم يكن له عشاء » .

الحافظ عبد الغنِّي المَقْدِسِيّ :

قال الضِّياء المقدسي : رأيت يومًا قد أُهدي إلى بيت الحافظ مشمش ، **فكانوا يفرِّقون ، فقال من حينه : فرِّقوا ﴿ لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما**

(١) تنبيه المغترين للشعراني صـ ٩٣ .
(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٧ / ١٠٠ .
(٣) تنبيه المغترين صـ ٩١ .

تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] . وقد فُتح له بكثيرٍ من الذهب وغيره ، فما يترك شيئًا ، حتى قال لي ابنُه أبو الفتح : والدي يعطي الناس الكثير ، ونحن لا يبعث إلينا شيئًا[١] .

حَمَّاد بن أبي سليمان :

كان رحمه الله ذا دنيا متَّسِعة ، وكان يفطِّر في رمضان خمسمائة إنسان ، وكان يُعطِيهم بعد العيد لكلِّ واحدٍ مائة درهم[٢] .

أبو جَعْفر القارئ :

قال الذهبي في السير (٥ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) : كان أبو جعفر يتصدّق حتى بإزاره .

جعفر الصادق بن محمد بن علي :

قال الذهبي في ترجمة جعفر في السير (٦ / ٢٥٥ - ٢٧٠) : « عن هيّاج بن بِسْطام قال : كان جعفر بن محمد يُطعم حتى لا يبقى لعياله شيء » .

قال تعالى : ﴿ **مَنْ ذَا الذي يُقرض الله قَرضًا حسنًا فيُضاعفه له أضعافًا كثيرة والله يقبض ويبسُط وإليه تُرْجَعُون** ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

وقال تعالى : ﴿ **الذين يُنفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ . [البقرة : ٢٧٤] .

* * *

(١) انظر ترجمة الحافظ عبد الغني في « السير » ٢١ / ٤٤٣ - ٤٧١ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٣١ - ٢٣٩ .

أبو الدَّحْدَاح رضي الله عنه :

عن أنس بن مالك أن رجلًا قال : يا رسول الله ، إن لفلان نَخْلَة ، وأنا أُقيم حائطي بها ، فمُره أن يُعطيني حتى أُقيم حائطي بها . فقال له النبي ﷺ : « أعطها إياه بنخلةٍ في الجنة » . فأبى . وأتاه أبو الدحداح فقال : بعني نخلتك بحائطي . قال : ففعل . قال : فأتى النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد ابتعتُ النخلة بحائطي ، فجَعَلْهَا له ، فقال رسول الله ﷺ : « كَم مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لأبي الدّحْداح في الجنة » . مرارًا ، فأتى امرأته فقال : يا أمَّ الدَّحداح ، اخرجي من الحائط ، فإني بعتُه بنخلةٍ في الجنة . فقالت : قد ربحتَ البيع . أو كلمة نحوها[1].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رُبَّ عذقٍ مُذَلَّلٍ لابن الدَّحداحة في الجنة »[2].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كَم من مُعلَّقٍ لأبي الدّحداح في الجنة »[3].

زيد بن عَمْرو بن نُفَيل رضي الله عنه :

وكان من الأحناف ، مات وهو في طريقه إلى مكّة .

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : لقد رأيت زيد بن عمرو

---

(١) إسناده رجاله ثقات . والحديث أخرجه الحاكم في « المستدرك » عن أبي النضر ، وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » ٩ / ١٤٤ رقم (٧١١٥) .

(٢) صحيح . رواه ابن سعد عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٤٨٣) .

(٣) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي .

ابن نفيل قائمًا مُسنِدًا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري . وكان يُحيي المَوْءودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : مَهْ ، لا تَقْتُلْهَا ، أنا أكفيك مُؤْنَتَهَا . فيأخُذُها فإذا ترعرعتْ قال لأبيها : إن شئتَ دفعتها إليك ، وإن شئتَ كفيتُك مؤنتها[١] .

كم بَيْنَـكَ وَبَيْنَ المَوْصوفين ؟! كم بين المجهولين والمعروفين ؟! آثرتَ الدنيا وآثروا الدِّين ، فتَلَمَّحْ تفاوُتَ الأَمْر يا مِسْكِين .

* * *

(١) رواه الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ١٣٩/٨ . وهذا حديث صحيح .

سَجْعٌ على قولِهِ تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

حَرِّكُوا هِمَمَكم إلى الخير وأَزْعِجُوا ، وحثُّوا عزائمكم على الجِدِّ وأدْلِجُوا ، والتفتوا عن الحِرْص على المال وَعَرِّجُوا ، وآثِروا الفقير بما تُؤْثِرون **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾** .

وَيْحَكُم ، السَّيْر حَثِيث ، ولا مُنجد لكم ولا مُغيث ، فبادِرُوا بالصَّدقة المواريث **﴿ ولا تيمَّمُوا الخبيث منه تُنفقون ﴾** .

كم قطعت الآمال بتًّا ، كم مُصَيِّفٍ ما أَرْبَعَ ولا شتَّى ، كم عازمٍ على إخراج المال ما تأتَّى ، سبقتْه المَنُون **﴿ لَنْ تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾** .

يا حريصًا ما يستقِرّ ، يا طَالِبًا للدنيا ما يقِرّ ، إن كنتَ تُصَدِّق بالثواب فتصدَّق في السِّرِّ بالمحبوب المَصُون **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾** .

يا بخيلًا بالفتيل ، وشحيحًا بالنَّقِير ، يا صريعًا بالهوى إلى متى عَقِير ، تختار لنفسك الأجود ولرَبِّك الحقير ، وما لا يصلُح لك من الشيء تُعطيه الفقير ، فما تختار لنا كذا يكون **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾** .

اكْتِسابُكَ على أغراضك أنْفَقْتَ ، أمْرَجْتَ نَفْسَكَ في الشهوات وأطْلَقْتَ ، ونسيتَ الحساب غدًا وما أشْفَقْتَ ، فإذا رحمتَ الفقير وتصدَّقت ، أعطيتَ الرَّدِيَّ الدُّون **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾** .

أمَّا المسكين أخوك من الوالِدَيْن ، فكيف كَفَفْتَ عن إعطائه اليَدَيْن ، كيف تحثُّ على النَّفْلِ والزَّكاةُ عليك دَيْن ، وأنتم فيها تتأوَّلُون **﴿ لن تنالوا**

البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

يا وحيدًا عن قليل في رَمْسِه ، يا مُسْتَوْحِشًا في قبره بعد طُول أُنسه ، لو قدّم خيرًا نَفَعه في حَبْسه ﴿ **ومن يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

تجمعُ الدينار على الدينار لغيرك ، وينساك مَنْ أخذ كلَّ خَيْرِكَ ، ولا تزوّدْتَ منه شيئًا لسَيْرِكَ ، هذا هو الجنون ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾[1].

* * *

(١) التبصرة ٢ / ٢٦٠ .

□ كلماتٌ عَطِرة في الجُودِ والكَرَم □

قال أكْثَم بن صَيْفِي حكيمُ العرب : ذَلِّلُوا أخلاقكم للمطالب ، وقُودوها إلى المحامد ، وعَلِّموها المكارم ، ولا تُقيموا على خُلُقٍ تَذُمُّونه من غيركم ، وصِلوا من رَغِبَ إليكم ، وتَحَلُّوا بالجُود يُكسبكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل فتتعجّلوا الفقر .

وقال محمود الورَّاق :

مَنْ ظَنَّ بالله خيرًا جَادَ مُبتدِئًا وَالبُخْلُ مِنْ سُوءِ ظَنِّ المَرْءِ باللهِ

وقال عبد الله بن عباس : سادات الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء .

وقال أبو مسلم الخولاني : ما شيءٌ أحسن من المعروف إلَّا ثوابه ، وما كُلّ من قَدَر على المعروف كانت له نِيَّة ، فإذا اجتمعت القُدرة والنِّيَّة تمَّت السَّعادة . وأنشد :

إن المكارمَ كُلَّها حَسَنٌ والبذلُ أحْسَنُ ذلك الحسنِ
كم عارفٍ بَي لستُ أعرفُهُ ومُخَبِّرٌ عنّي وَلَمْ يَرَني
يأتيهمُ خبري وإن بَعُدتْ داري وبُوعِدَ عنهمُ وطني
إنِّي لحُرِّ المال مُمْتَهِنٌ ولحُرِّ عِرْضِيَ غيرُ مُمْتَهِنِ

وقال خالد بن عبد الله القَسْرِيّ : من أصابه غُبار مركبي ، فقد وَجب عليَّ شكرُه .

تَمثَّل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال :

إن الصَّنِيعَةَ لا تكون صنيعةً حتى يُصابَ بها طريقُ المصنعِ

فإذا اصطنعتَ صنيعةً فاعْمِدْ بها ... لله أو لــذوي القــرابة أو دَعِ

فقال عبد الله بن جعفر : إن هذين البيتين ليُبَخِّلان الناس ، ولكن أمطر المعروف مطرًا ، فإن أصاب الكرامَ كانوا له أهْلًا ، وإن أصاب اللِّئام كنتَ له أهلًا .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه : والله لَرَجُلٌ ذَكَرني ، ينام على شِقِّهِ مرة وعلى شقةٍ أُخرى ، يراني موضعًا لحاجته ، لَأَوْجَبَ عليَّ حقًّا إذا سألنيها مني ، إذن قضيتُها له .

وقال عبد العزيز بن مَرْوان : إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفي عنده ، فيَدُه عندي أعظم من يدي عنده . وأنشد لابن عباس رضي الله تعالى عنهما :

إذا طارِقَاتُ الهَمِّ ضاجعتِ الفَتَى ... وأعمل فِكْرَ اللَّيْلِ والليلُ عاكِرُ
وَبَاكَرَني في حاجةٍ لم يَكُنْ لها ... سِوَايَ ولا مِنْ نَكْبَةِ الدَّهْرِ ناصِرُ
فَرَجْتُ بِمالي هَمَّهُ عن خِنَاقِهِ ... وزايَلَهُ الهَمُّ الطَّرُوقُ المُسَاوِرُ
وكانَ له فَضْلٌ عليَّ بِظَنِّهِ ... بيَ الخَيْرَ إنّي للَّذِي ظَنَّ شاكِرُ

وقيل لأبي عُقيل البليغ العراقي : كيف رأيتَ مَرْوان بن الحكم عند طَلَب الحاجة إليه ؟ قال : رأيت رغبتَهُ في الإنعام فوق رغبته في الشُّكْر ، وحاجتَهُ إلى قضاء الحاجة أشَدَّ من حاجة صاحِب الحاجة .

وقال الشاعر :

ليس يُعطيك للرَّجاءِ ولا الخو ... فِ ولكنْ يَلَذُّ طَعْمَ العطاءِ

وقال الشَّاعر في علوِّ همَّةِ رجلٍ في الجُود :

لَزِمْتَ نَعَمْ حتَّى كأنَّك لم تَكُنْ ... سمعتَ من الأشْياءِ شيئًا سِوى نَعَمْ

وأنكرت لا حتى كأنَّك لم تكنْ سمِعتَ بها في سالِفِ الدَّهر والأُمَمْ[(١)]

وقالوا : الأيامُ مَزارِع ، فما زرعتَ فيها حصدتهُ .

إن الحـــياة مـــزارِعٌ فازرَعْ بها ما شئتَ تحصُدْ

وقال الأحنف بن قيس : ما ادَّخرتِ الآباءُ للأبناء ، ولا أبْقتِ الموتى للأحياء شيئًا أفْضَلَ من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب والآداب .

وقالوا : أَحْي معروفَك بإماتةِ ذِكْره ، وعظِّمْهُ بالتَّصغير لهُ .

وقالت الحكماء : مِن تمام كَرَم المُنعم التَّغافُل عن حجَّته ، والإقرار بالفضيلة لشاكِرِ نعمته .

وقالوا : للمعروف خِصال ثلاث : تعجيله وسَتْره وتيسيره ، فمن أخلَّ بواحدةٍ منها ، فقد بَخَس المعروف حقَّه ، وسقط عنه الشُّكْر .

وفي منثور الحِكَم : الجُود خيرُ موجود .

وقال عابد : من وُصِف ببذل ماله لطُلّابه فليس سخِيًّا ، إنما السّخيّ من يبدأ بحقوق الله في أهل طاعته ، ولا تُنازعه نَفْسُه إلى حُبِّ الشُّكْر له إذا كان يَقينُه بثواب الله تامًّا .

وقال ابن السَّمّاك : عجبتُ لمن يشتري المماليك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعروفه .

وقيل لابن عُيَيْنَة : ما السَّخَاء ؟ قال : بِرُّ الإخوان ، والجُود بالمال .

وَوَرِثَ عبد الرحمـٰن بن الحارث خمسين ألفًا ، فبعث بها سرًّا إلى

(١) وفيات الأعيان ٢ / ٢٢٧ .

إخوانه وقال : قد كنتُ أسأل لهم الجنة في صَلاتي ، فأبخل عليهم بالدنيا !!

لله ما أحلى هذه الكلمة وأعمقها !

وأحلى منها ما قاله الإمام الرَّبّاني شيخ خراسان أبو حفص النيسابوري : « ما استحق اسم السَّخاء مَنْ ذَكَرَ العطاء ولا لَمَحَهُ بِقَلْبِهِ » .

ولله دَرُّ القائل : « الكرم طَرْحُ الدنيا لمن يحتاج إليها ، والإقبال على الله بحاجتك إليه » .

وقيل لمعاوية : مَنْ أحبُّ الناس إليك ؟ قال : من كَثُرَتْ أياديه عندي . قيل : فإن لم يَكُنْ ؟ قال : مَنْ كثرتْ أياديَّ عنده .

وقال الحكماء : جُود الرجل يُحببه إلى أضداده ، وبُخْلُه يُبغِّضه إلى أولاده .

وخير الأمور ما استرقَّ حُرًّا ، وخير الأعمال ما استحقَّ شُكرًا .

وقالوا : الإحسان رِقٌّ والمكافآت عِتْق .

وقالوا : مَنْ بذلَ مالَه أدرك آمالَه .

وقيل لحكيم : أيّ فِعْل البشر أشْبَهُ بفعل الباري ؟ قال : الجُود .

وإذَا الكريمُ مَضَى وولَّى عمْرُهُ كَفَـلَ الثَّنَـاءُ له بِعُمـرٍ ثـانِ

قال الحافظ : ليس شيء ألذّ ولا أسَرّ ، ولا أنْعَم من عزِّ الأمر والنَّهْي ، ومن الظَّفَر بالأعداء ، ومن تقليد المِنَن في أعناق الرجال .

وقالوا : مما يَلْزَم الكريمَ الماجد بِشْر الوَجْه المُسائل والوافِد .

وقالوا : البِشْر أوَّلُ البُسْر ، وهو دالٌّ على السخاء ، كما يدل الشَّجر على المَطر ، والنُّوَّار على الثمر .

وقال الحسن : لَأَن أقضي حاجة لأخي ، أحبُّ إليَّ من عبادةِ سنةٍ .

وقال إبراهيم بن السّندي : قلتُ لرجلٍ من أهل الكوفة ، مِنْ وجوه أهلها ، كان لا يَجفُّ لِبْدُه ، ولا يستريح قلبُه ، ولا تسكُن حركتُه في طَلَبِ حوائج الرجال ، وإدخال المرافق على الضعفاء ، وكان رجلًا مفوَّهًا ، فقلتُ له : أخبرني عن الحالة التي خفَّفتْ عنك النَّصَب ، وهوَّنتْ عليك التعب في القيام بحوائج الناس ، ما هي ؟ قال : قد والله سمعتُ تغريد الطير بالأسحار ، في فروع الأشجار ، وسمعت خفق أوتار العِيدان ، وترجيع أصوات القِيان ، فما طَرِبتُ من صوتٍ قطُّ طَرَبي من ثناءٍ حسن بلسانٍ حسن ، على رَجُلٍ قد أحْسَنَ ، ومن شُكرِ حرٍّ لمنعِمٍ حرٍّ ، ومن شفاعةِ مُحْتَسب لطالب شاكِر . قال إبراهيم : فقلت له : لله أبوك ! لقد حُشيتَ كرمًا .

وقال جعفر الصادق : إن الله خَلَقَ خَلْقًا من رحمته برحمته لرحمته ، وهم الذين يقضون حوائجَ الناس ، فمن استطاع منكم أنْ يكون منهم فليكُن .

ومن أفرطِ ما قيل في الجود ، قولُ بكر بن النَّطّاح :

فَتًى جَعَلَ الدُّنْيَا وِقَاءً لِعِرْضِهِ ... فأسْدَى بِهَا المَعْروفَ قبل عداتِهِ
فلو خَذَلَتْ أمواله جُودَ كَفِّهِ ... لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجوه شَطْرَ حياتِهِ
وإن لم يَجُزْ في العمر قَسْمٌ لمالكٍ ... وجاز له أعطاه من حَسَنَاتِهِ
وجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ ... وأشْرَكَهُ في صومِهِ وَصَلاتِهِ

وقول القائل :

ملأتُ يدي من الدنيا مِرَارًا ... وما طَمِعَ العَواذِلُ في اقتصادي
ولا وَجَبَتْ عليّ زكاةُ مالٍ ... وهل تجبُ الزكاةُ على الجَوادِ

وقالوا : السَّخِيّ من كان مسرورًا بِبَذْلِهِ ، متبرِّعًا بعطائه ، لا يلتمس

عَرَضَ دُنيا فيُحبط عمله ، ولا طَلَب مكافأةٍ فيسقط شكره ، ولا يكون مثله فيما أعطى مثل الصَّائِدِ الذي يُلقي الحَبَّ للطائر ، لا يريد نَفْعها ولكن نفع نفسه .

ولله دَرُّ من قال :

كريمٌ على العِلّات جَزْلٌ عطاؤه يُنيل وإنْ لم يُعْتَمَد لنَوالِ
وما الجودُ من يُعطي إذا ما سألتَهُ ولكنّ مَنْ يُعطي بغير سؤالِ

ولله دَرُّ خالد بن صفوان حين يقول : فواتُ الحاجة خيرٌ من طَلَبِها إلى غير أهلها .

ودخل محمد بن واسع على قُتيبة بن مسلم فقال : أتيتُك في حاجةٍ فإن شئت قضيتها وكُنّا كريميْن ، وإنْ شئتَ لم تَقضِهَا وكُنَّا لئيميْن .

أراد إن قضيتَها كنت أنت كريمًا بقضائها ، وكنتُ أنا كريمًا بسؤالك إياها ؛ لأني وضعتُ الطِّلبة في موضعها ، فإنْ لم تَقْضِها ، كنتَ أنتَ لَئِيمًا بمنْعك ، وكنتُ أنا لئيمًا بِسُوءِ اختياري لك .

لله أقوامًا خلقهم الله للجُود ونَفْع الناس !

فهذا خالد بن الخليفة يزيد بن معاوية ، كان موصوفًا بالعلم ، وكان من صالحي القوم .

قال فيه الشاعر :

سَألتُ النَّدَى والجُودَ حُرَّان أنتما فقالا جميعًا إنّنا لَعَبِيدُ
فقلتُ فَمَنْ مولاكمَا فتطاوَلَا عليَّ وقالَا خالد بن يزيد[1]

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٢ - ٣٨٣ .

وقال ﷺ في الصحيح : « الناس كإبل مائة ، لا تكاد تجد فيها راحلة » .

وقالت الحكماء : الكرام في اللئام كالغُرَّة في الفَرَس .

وقال دِعْبِل :

ما أَكْثَرَ الناس لا بَلْ ما أقلَّهُمُ ... والله يعلـم أني لم أقـل فَنَـدَا
إني لأُغـلِق عيـني ثم أفْتَحُهـا ... على كثيرٍ ولكنْ ما أرى أحَدَا

« قال إبراهيم بن أدهم : عجبًا للرجل اللئيم يبخل بالدنيا على أصدقائه ويَسْخىٰ بالجنة لأعدائه .

وقال محمد بن سيرين : أدركنا الناسَ وهم يتهادون بالفضة في الأطباق كالفاكهة .

وقال الحسن البصري : عجبًا لك يا ابن آدم ، تنفق في شهواتك إسرافًا وَبِدَارًا ، وتبخل في مرضاة ربك بدرهم ، ستعلم يا لُكع مقامك عنده غدًا .

وكان يقول : أعطوا الشعراء وذوي اللسان ؛ فإنَّ مَنْ لم يبالِ بالشِّكاية فيه فقد نادى على نفسه بالدناءة وقلة المروءة .

وكان يقول : إياك أن تطلب حاجة من بخيلٍ ، فإن من طلب منه حاجة فهو كمن يطلب صيد السمك من البراري والقفار .

وكان أبو القاسم الجنيد - رحمه الله - لا يمنع قط أحدًا سأله شيئًا ، ويقول : أتخلَّق بأخلاق رسول الله ﷺ .

وكان حمَّاد بن أبي سليمان - رحمه الله - يقول : لولا سؤال المحتاجين لي ما اتَّجرتُ في شيءٍ أبدًا .

وقال معمر : من أقبح المعروف أنْ تحوج السائل إلى أنْ يسأل وهو خَجِلٌ منك ، فلا يجيءُ معروفُك قَدْرَ ما قاسىٰ من الحياء ، وكان الأَوْلىٰ أن تتفقَّدَ حال أخيك وترسل إليه ما يحتاج ولا تُحْوجه إلى السؤال .

وكان الفُضيل بن عياض - رحمه الله - يقول : نحن لا نعدُّ القرضَ من المعروف ؛ لأن صاحبه يطلب المقابلة ، وإنما المعروف المسامحة للناس في كل ما يطلبونه منك في الدنيا وفي الآخرة .

وكان السّري السّقطي - رحمه الله - يقول : ذهب المعروفُ وبقيت التجارة ؛ يعطي أحدُهم لأخيه الشيءَ لأجل أنْ يعطيه نظيره .

وكان أحدهم يقول : لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيلُه ، وتَصْغيره في عين مُعْطيه ، وإخفاؤه عن الناس .

وكان الحسن البصري يقول : لقد أدركنا الناس وأحدهم يدخل دارَ أخيه وهو غائبٌ فيرى السَّلَّة مملوءة فاكهة ، فيأخذها فيأكل منها ويُفرّق منها بغير إذنٍ ، فإذا جاء أخوه وأُخبر فرح بذلك .

وكان لمحمد بن سيرين - رحمه الله - بغلٌ مربوط في دِهْليزه ، فكلُّ من احتاج إلى ركوبه أخذه وركبه من غير استئذانٍ ؛ لما يعلمون من طِيب نَفْسِهِ بذلك .

وكان بقيَّة بن الوليد - رحمه الله - يَدْخل دار صديقه في غيبته ، ويأخذ القِدْر من النَّار ويضعه على باب الدار ، فيأكل منه ويفرّق على الفقراء والمساكين ، فإذا جاء أخوه فرح بذلك وقال : جزاك الله من أخٍ صالحٍ خيرًا ، قدَّمت لنا اليوم معادنا »[1].

---

(١) تنبيه المغترين للشعراني ٨٩ - ٩٢ .

وكان جعفر بن محمدٍ رضي الله عنهما يقول : بِئْس الأخُ من لا يتجرَّأُ أخوه أن يفتح كيسه في غَيْبته ، ويأخذ منه ما يحتاج إليه بغير إذنه .

وكان مطرِّف بن عبد الله - رحمه الله تعالى - يقول : مَنْ كان له عندي حاجة فليكتبها في قرطاسٍ ويرسلها إليَّ ؛ فإني أكره أن أرى ذلَّ المسألة في وجه مسلم ، فإن السؤال أرجح من النَّوَال ، وإنْ جَلَّ .

وكان الفُضيل بن عياض - رحمه الله تعالى - يقول : من المعروف أن ترى المِنَّة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئًا ؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب ، وأيضًا فإنه خصَّك بالسؤال ورجا فيك الخير دون غيرك .

وكان السلف يعدون ليلة الضيف كأنها ليلة عيد ؛ لِمَا يحصل لهم من السُّرور .

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول : لأن أَجْمَع نفرًا من أصحابي على طعامي أحبّ إليَّ من عتق رقبة .

وكان أحدهم يقول : زكاة الدَّار أَنْ يُجعل فيها بيتٌ للضيافة .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ليس من السَّرَف التَّبسط للضيف في الطعام .

وكان ميمون بن مِهْران - رحمه الله تعالى - يقول : من أطْعَم ولم يُتْمر - أي لم يقدِّم تمرًا أو شيئًا حُلوًا - كان كمن صلَّى العشاء ولم يُوتر .

وكان يحيى بن معاذ يقول : عجبتُ ممّن يبقى معه مالٌ وهو يسمع قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنْ تَقْرِضوا الله قرضًا حَسَنًا يضاعفْه لكم** ﴾ [التغابن : ١٧] .

قال الأصعمي : ما استُضِفْتُ عند بخيل إلَّا وصاحتْ دَابَّتي جُوعًا ،

واستغنيتُ عن الخلاء ، وأمنتُ من التُّخْمَة .

وقالوا عن البخيل : لو مَلَك بيتًا من بغداد إلى النُّوبة مملوءًا إبرًا ، ثم جاءه جبريلُ وميكائيلُ ومعهما يعقوب النبي عليه السلام ، يطلبون منه إبرةً ، ويسألونه إعارتهم إياها ليخيطَ بها قميصَ يوسف مَا فَعَل.

لو أنَّ دارك أَنْبَتَتْ له أَرْضُها　　إبرًا يضيقُ بها فِنَاءُ المحملِ
وأتاك يُوسفُ يَسْتَعيرُكَ إبرةً　　لِيَخيطَ قَدَّ قَمِيصِهِ لم تَفْعَلِ

وقالوا عن البخيل :

وإذا أردتَ إخاءَه　　فارْفَعْ يَمِينكَ مِنْ طَعَامِهْ
فالموتُ أهونُ عنده　　من مَضْغِ ضيفٍ والتقامِهْ
سِيَّان كَسْرُ رغيفهِ　　أو كَسْرُ شَيءٍ من عِظَامِهْ
وإذا مَرَرتَ ببابهِ　　فاحْفَظْ رغيفكَ من غُلامِهْ

وكان عبد العزيز بن عمير يقول : الصلاة توصلك إلى نصف الطريق ، والصَّوْم يوصلك إلى باب المَلِك ، والصدقةُ تُدخلك إلى الملك .

وكان رحمه الله يقول : الأموال عندنا ودائعُ للمكارم .

وكان إبراهيم بن يوسف - رحمه الله - يجمع الأموال ويقول : إنما أَجْمَعُ ذلك لبطونٍ جائعة ، وظهور عاريَة ، ولم أجمعه للماء والطين .

وقال أحد العُبَّاد : يتزوج أحدُكُم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ، ولا يتزوَّج الحور العين بلقمةٍ أو تمرة أو خِرْقة ، هذا من العجب !!

وكان الليث بن سعد يقول : من أخذ مني صدقةً أو هديّةً فحقه عليَّ أعظم من حقي عليه ؛ لأنه قبل مني قُرباني إلى الله عز وجل .

وقال معاذ النسفي - رحمه الله - : مَنْ لم يَرَ نفسه أَحْوج إلى ثواب

صدقته من الفقير إلى صدقته ، فهو ممَّن أَبْطَلَ صدقته بالمنِّ ؛ لأنه رأى نفسه على الفقير .

أخي ، لا تَحْقر من الصدقة شيئًا ولو حَبَّة ، فكم في الحَبَّة من مثقال ذرة .

أخي ، لا تَنْهَرْ سائلًا ، فلو عرفتَ ما يحمله لك من الخير لحملتَه في فؤادك ، لا على رأسك .

فقد كان سفيان الثوري – رحمه الله – يَنْشرح إذا رأى سائلًا على بابه ويقول : مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي .

وكان الفُضيل بن عياض – رحمه الله – يقول : نِعْم السائلون ، يحملون أَزْوادنا إلى الآخرة بغير أجرة ، حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى .

وكان إبراهيم بن أدهم ، قبل زهده ، إذا جاءه سائلٌ يَدْخل إلى عياله ويقول لهم : قد جاءكم رسولُ المقابر ، فهل توجِّهون إلى موتاكم شيئًا من الصدقة ؟!.

ودخل سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم بالحَرَم يومًا ، فرأى هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : سلني حاجتك يا سالم . فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أستحيي أنْ أسألَ في بيت الله أحدًا غيره تعالى .

ودخل سائلٌ يومًا على معروف الكَرْخي فلم يَرَ عنده ما يعطيه غير نعله ، فأعطاه إياه ، ثم بلغ معروفًا بعد ذلك أنه باع النعل واشترى بثمنها فاكهة ، فقال معروف : الحمد لله ، لعله كان يشتهي الفاكهة فواسَيْناه بثمنها .

وقالوا : إن لك في مالك شَريكَيْن : الحَدَثان والوارث ، فإن استطعت

ألَّا تكون أبخس الشُّركاء حظًّا فافعل .

أخي ، أترضى أن يكون كافرٌ أجودَ منك وأنت مُسْلم .. فإن كنتَ بعيد الهمة عاليها فانظر بعض خبر حاتم الطائي .. يقول لغلامه يسار :

أوقِدْ فإنَّ الليلَ ليلٌ قَرُّ والرِّيحُ يا مُوْقِدُ ريحٌ صِرُّ
عَسَى يرى نَارَك مَن يمرُّ إنْ جَلَبْتَ ضَيْفًا فأنتَ حرُّ

ومرَّ حاتمٌ في سفره على عَنَزة ، وفيهم أسيرٌ ، فاستغاث بحاتم ولم يحضره فِكَاكه ، فاشتراه من العنزيِّين وأطلقه ، وأقام مَكَانه في القيد حتى أدى فداءه .

وَرُئي حاتم يومًا يضرب ولدَه ، لمَّا رآه يضربُ كلبةً كانت تدل عليه أضيافه ، وهو يقول :

أَقُولُ لابني وقد سَطَتْ يداهُ بكلبةً لا يزال يَجْلدُهَا
أُوصيكَ خيرًا بها فإنَّ لها عندي يدًا لا أزَال أَحْمدُهَا
تدلُّ ضَيْفي عليَّ في غَلَسِ اللَّيلِ إذا النَّارُ نامَ مُوقِدُهَا

وذكرت طَيِّئ عند عديٍّ بن حاتم أن رجلًا يُعرف بأبي الخَيبريّ مرَّ بقبرِ حاتم ، فنزل به وجعل ينادي : أبا عديّ ، أَقْرِ أضيافك . قال : فيقال له : مهلا ، ما تُكلِّم من رَمَّةٍ باليةٍ . فقال : إن طَيِّئًا يزعمون أنه لم ينزل به أحدٌ إلا قراه ، كالمستهزئ ، فلما كان في السَّحَر ، وثب أبو خيبريّ يصيح : واراحلتاه !! فقال له أصحابه : ما شأنك ؟ قال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر إليها ، فتأملوا راحلته ، فإذا هي لا تنبعث ، فقالوا : قَدْ والله أقراك ، فنحروها وظلّوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، فبينما هم في مسيرهم إذ طلع عليهم عديُّ بن حاتم ومعه جملٌ قد قرنه ببعيره ، فقال : إن حاتمًا جاء في النوم ، فذكر لي قولك ، وأنه

أقراك وأصحابَك راحلتك ، وقال لي أبياتًا ، ردَّدها عليَّ حتى حفظتها ، وهي :

أبا الخيبريِّ وأنت امرؤٌ حَسُودُ العشيرةِ شتَّامُهَا
فماذا أردتَ إلى رِمَّةٍ بداويةٍ صخب هَامُهَا
أتبغي أذاها وإعْسَارها وحولك غوثٌ وأنعامُهَا
وإنَّا لنطعم أَضْيافنا من الكُوم بالسَّيف نَعْتامُهَا[1]

وأمرني بدفعِ راحلةٍ عوض راحلتك ، فخذها ،فأخذها .

هذا حاتم وبعض أمره ... وهو القائل :

يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً إن الجَوادَ يرى في مالِهِ سُبُلا

يَتَسخَّى مَيْتًا :

« قال محمد بن محمد الحافظ : سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجلٌ عُرف بأنه يجمع للفقراء شيئًا ، فوُلد لبعضهم مولودٌ ، قال : **فجئت إليه وقلت له : وُلد لي مولود وليس معي شيءٌ،فقام معي ودخل على جماعة ، فلم يُفتح بشيءٍ ، فجاءَ إلى قبر رجل وجلس عنده وقال : رحمك الله ،** كنتَ تفعل وتصنع ، وإني درتُ اليوم على جماعةٍ فكلَّفتهم دفعَ شيءٍ للمولود ، فلم يَتَّفق لي شيء ، قال : ثم قام وأخرج دينارًا وقسمه نصفين وناولني نصفه ، وقال : هذا دَيْنٌ عليك إلى أن يفتح الله عليك بشيءٍ ، قال : فأخذته وانصرفتُ فأصلحت ما اتَّفق لي به ، قال : فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال : **احضر منزلي ، وقل لأولادي يحفروا مكان** الكَانون ، ويُخرجوا قِرَابَةً فيها خمسمائة دينار ، فاحملها إلى هذا الرجل ، فلما

(١) الكُوم : جمع كَوْماء ، وهي الناقة عظيمةُ السَّنام ، ونعتامها : أي نختارها .

كان من الغَـدِ تقدَّم إلى منزلِ الميت وقَصَّ عليهم القصـة ، فقالوا له : اجلس ، وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه ، فقال : هذا مالكم ، وليس لرؤيايَ حُكْمٌ ، فقالوا : هو يتسخَّى ميتًا ولا نتسخَّى نحن أحياء ؟! فلما ألحّوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود ، وذكر له القصة ، قال : فأخذ منها دينارًا فكسره نصفين ، فأعطاه النصف الذي أقرضه ، وحمل النصف الآخر ، وقال : يكفيني هذا ، وتصدَّق به على الفقراء ، فقال أبو سعيد : فلا أدري أيّ هؤلاء أسخى[1].

* * *

---

(١) الإحياء ٣ / ٢٦٥ - ٢٦٦ .

□ مَـرَاتِبُ الجُـودِ □

قال ابن القيم عن مَنْزِل الجود والسخاء والإحسان :

« المراتب ثلاثة :

إحـداهـا : أن لا ينقصـه البَـذْلُ ولا يصعـب عليـه ، فهـو منزلة « السخاء » .

الثانية : أن يعطي الأكثر ويُبقي له شيئًا ، أو يُبقي مثل ما أعطى فهو « الجود » .

الثالثة : أن يُؤْثر غيره بالشيء مع حاجته إليه ، وهو « مرتبة الإيثار » .

قالوا لقيس بن سعد يومًا : هل رأيتَ أسخَى منك ؟ قال : نعم . نزلنا بالبادية على امرأةٍ ، فحضر زوجها ، فقالت : إنه نزل بك ضيفان . فجاء بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم . فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها ، فقلنا : ما أكلنا من التي نَحَرْتَ البارحة إلا اليسير ، فقال : إني لا أطعم ضيفاني البائت ، فبقينا عنده يومين أو ثلاثة ، والسماء تمطر وهو يفعل ذلك . فلما أردنا الرَّحيل وضعنا مائة دينار في بيته ، وقلنا للمرأة : اعتذري لنا إليه . ومضينا ، فلما طلع النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتموني ثمن قِرايَ !! ثم إنه لحقنا ، وقال : لتأخذنَّه أو لأُطَاعنكم بِرُمْحي ، فأخذناه وانصرف .

والجُـودُ عَشْـر مَـرَاتِب :

أحدها : الجُودُ بالنَّفْسِ :

وهو أعلى مراتبه ، كما قال الشاعر :

يَجودُ بالنَّفْسِ إذ ضنَّ الجوادُ بها والجُودُ بالنَّفْسِ أقصىٰ غايةِ الجُودِ

هذا الفتح بن خاقان ، طرح نفسه على الخليفة المتوكّل ، حتى خلط لحمَه بلحمِهِ ، ودمَه بدمِهِ ، فهل بعد هذا مواساة .

احْملاني إنْ لم يكنْ لكُمَا عَقْـ ـرٌ إلى جنبِ قبرِهِ فاعْقِراني
وانْضحَا من دَمي علَيه فَقَدْ كان دمي من نَداهُ لو تَعْلمانِ

الثانية : الجود بالرِّيَاسة :

وهو ثاني مراتب الجود ، فيحمل الجَوَاد جوده على امتهان رياسته ، والجود بها ، والإيثار في قضاء حاجاتِ الملتمس .

وهذا كجُود الحَسن بن علي .. جَادَ بالخلافة على معاوية ليُصْلِحَ بين طائفتين من المسلمين .. فهو سَيِّدٌ من سادات المسلمين الأجواد .

الثالثة : الجود برَاحتِه ورفاهيته ، وإجمامِ نفسِه :

فيجود بها تعبًا وكدًّا في مصلحة غيره ، وَمِنْ هَذَا جود الإنسان بنَوْمه ولَذَّته لِمُسَامِرِه ، كما قيل :

مُتَيَّمٌ بالندى لو قالَ سَائله هبْ لي جميعَ كَرىٰ عَيْنَيْكَ لم يَنَمِ

علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه :

عن أبي جعفرٍ قال : ما مات علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حتى بلغتْ غلَّتُه مائة ألف ، ولقد مات يوم مات وعليه سبعون ألفًا دَيْنًا . فقلت : مِنْ أين كان عليه هذا الدَّيْن ؟ قال : كان تأتيه حامَّتُه من أصهاره ومعارفه ، ممَّن لا يرىٰ لهم في الفَيْءِ نصيبًا ، فيُعطيهم ، فلمَّا قام الحسنُ ابن علي ، باع وأخذ من حواشي مالِهِ ، حتى قضى عنه ، ثم كان يُعْتِق عنه في كل عامٍ خمسين نَسَمةً حتى هلك ، ثم كان الحسين يُعتق عنه خمسين

نسمةً حتى قُتِلَ ، ثم لم يفعله أحدٌ بعدهما[١] .

نزع أبو بكر مَخيطَ الهوى فمزَّقه عليٌّ ، رمى الصِّدِّيق جهاز المُطلَّقة فوافقه عليٌّ حتى رمى الخاتم .

حبَّب الفقرَ إليه أنَّه ... سُؤْدُدٌ وَهْوَ بذاكَ الفقر يَغْنَى
وشَريفُ القومِ من بَقَّى لهم ... شَرَفَ الذِّكْرِ وخَلَّى المال يَفْنَى
ما اطمأنّ الوَفْرُ في بُحْبُوحَةٍ ... فرأيتُ المجدَ فيها مُطْمَئِنَّا
تُهْدَمُ الأموالُ مِن آساسها ... أبدًا ما دامتِ العلياءُ تُبْنَى[٢]

الحسن بن علي :

قاسَمَ الحسنُ الله مَالَه ثلاث مرات ، حتى كان يُعطي الخُفَّ ويُمسِك النعل .

سأل رجلٌ الحسن بن علي - رضوان الله عليهما - حاجةً ، فقال له : يا هذا ، حقّ سؤالك إيايّ يعظُم لديّ ، ومعرفتي ما يجب لك تكبُر عليّ ، ويدي تعجز عن نَيْلك ما أنت أهلُه ، والكثير في ذات الله تعالى قليلٌ ، وما في مَلَكَتِي وفاء لِشُكْرك ، فإنْ قَبِلتَ الميسورَ ، ورفعتَ عني مؤونَةَ الاحتيال ، والاهتمام لما أتكلَّف من واجبك ، فعلتُ . فقال : يا ابن رسول الله ، أقبلُ القليل ، وأشكُرُ العَطِيَّة ، وأعْذِر على المَنْع . فدعا الحسن - رضوان الله عليه - وكيلَهُ ، وجعل يُحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، ثم قال : هات الفاضِلَ من الثلثمائة ألف درهم . فأحضر خمسين ألفًا ، قال : فما فعلت الخمسمائة دينار ؟ قال : هي عندي . قال : أحْضِرها . فأُحْضِرَتْ ، فَدَفَعَ

---

(١) مكارم الأخلاق صـ ١٠٦ .
(٢) التبصرة ٢ / ٢٥٨ .

الدراهم والدنانير إلى الرجل ، وقال : هات من يحملها . فأتاه بحمَّالين ، فدفع إليهم الحسن - رضي الله عنه - رداءَهُ لِكِرَى الحمل ، فقال له مواليه : والله ما بقي عندنا درهم . فقال : لكنني أرجو أن يكون لي عند الله تعالى أجر عظيم[١] .

الرابعة : الجُودُ بالعلم وبَذْله :

وهو من أعلى مراتب الجود ، والجود به أفضل من الجود بالمال ؛ لأن العلم أشرف من المال . وأفضل الجود ما يقرِّبك من مولاك خطوة ، ويُدنيك من الجنة ، أو يُعينك بالعلم على طَلَبها ، ويَدُلّك على طريقها ، لا من يُطعمك الدنيا . ورحم الله أُمَّ البنين بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز ، حين قالت كلمةً تساوي الدنيا وما عليها : « البَخيل كُلّ البخيل مَنْ بخل على نَفْسِه بالجنة » .

والناس في الجود به على مراتب متفاوتة . وقد اقتضتْ حكمةُ الله وتقديرُه النّافِذ : أن لا ينفع به بخيلًا أبدًا .

ومن الجود به : أن تبذُله لمن يسألك عنه ، بل تطرحه عليه طرحًا .

ومن الجود بالعلم : أن السائل إذا سألك عن مسألة ، اسْتَقْصَيْتَ له جوابها جوابًا شافيًا ، لا يكون جوابُك له بِقَدْر ما تدفع به الضرورة ، كما كان بعضهم يكتب في جواب الفتيا « نعم » أو « لا » مقتصرًا عليها .

ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه - في ذلك أمرًا عجيبًا : كان إذا سُئل عن مسألة حُكْميَّة ، ذَكَر في جوابها مذاهب الأئمة الأربعة ، إذا قدر ، ومَأْخذ الخلاف ، وترجيح القول الراجح ، وَذَكَر

---

(١) لباب الآداب صـ ١٢٥ - ١٢٦ .

متعلّقات المسألة التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته ، فيكون فَرَحُه بتلك المتعلّقات واللّوازِم ، أعظم من فرحه بمسألته . وهذه فتاويه - رحمه الله - بين الناس ، فمن أحبّ الوقوف عليها رأى ذلك .

فمن جود الإنسان بالعلم : أنه لا يقتصر على مسألة السائل ، بل يذكر له نظائرها ومتعلّقها ومَأْخَذَها ، بحيث يشفيه ويكفيه .

وقد سأل الصحابةُ - رضي الله عنهم - النبيَّ ﷺ عن المتوضِّئ بماء البحر ؟ فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحِلُّ ميتَتُهُ » فأجابهم عن سؤالهم ، وجَادَ عليهم بما لعلَّهم - في بعض الأحيان - إليه أحْوَج مما سألوه عنه . وكانوا إذا سألوه عن الحُكم ، نبَّههم على عِلَّته وَحِكْمته ، كما سألوه عن بيع الرُّطب بالتمر ، فقال : « أينقص الرُّطب إذا جَفَّ ؟ » . قالوا : نعم . قال : « فلا إذن » . ولم يكن يَخْفَى عليه ﷺ نقصان الرطب بجفافه ، ولكنْ نبّههم على علَّة الحكم . وهذا كثيرٌ جدًّا في أجوبته ﷺ ؛ مثل قوله : « إن بعتَ من أخيكَ ثمرةً ، فأصابتها جائِحَةٌ ، فلا يحلّ لك أن تأخُذ من مال أخيك شيئًا ، بِمَ يأخُذ أحدكم مال أخيه بغير حقٍّ ؟! » . وفي لفظ : « أرأيتَ إن منعَ الله الثمرة ، بِمَ يأخذ أحدكم مال أخيه بغير حق ؟! » . فصرّح بالعلّة التي يحرم لأجلها إلزامه بالثمن ، وهي مَنْعُ اللهِ الثمرة التي ليس للمشتري فيها صُنع .

وكان خصومه - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - يعيبونه بذلك ، ويقولون : سأله السائل عن طريق مصر - مثلًا - فيذكُر له معها طريق مكة ، والمدينة ، وخراسان ، والعراق ، والهند ، وأيّ حاجة بالسائل إلى ذلك ؟! ولعمر الله ، ليس ذلك بعيبٍ ، وإنما العيب : الجهل والكِبْر . وهذا موضع المثل المشهور :

لَقَّبُــوهُ بِحَـامِضٍ وَهْــوَ خَــلٌّ   مِثْل مَنْ لم يَصِلْ إلى العُنْقُودِ

الخامسة : الجود بالنَّفْعِ بالجَاه :

كالشفاعة ، والمشي مع الرجل إلى ذي سلطانٍ ، ونحوه ... وذلك زكاة الجاه المُطالبُ بها العبد ، كما أن التعليم وبذل العلم زكاته .

السادسة : الجود بِنَفْعِ البَدَنِ على اختلافِ أنواعه :

كما قال ﷺ : « يصبح على كل سُلَامَى من أحدكم صَدَقةٌ كلّ يومٍ تطلُع فيه الشمس ، يعدل بين اثنين : صدقة ، ويُعين الرجل في دابّته ؛ فيحملُه عليها ، أو يرفع له عليها متاعه : صدقةٌ ، والكلمة الطَّيِّبة : صدقةٌ ، وبكل خُطوةٍ يمشيها الرجل إلى الصلاة : صدقةٌ ، ويُميط الأذى عن الطريق : صدقةٌ » . متفق عليه .

السابعة : الجودُ بالعِرْضِ :

كجودِ عُلبة بن زيد بن حارثة بن الأوس الأنصاري « المتصدِّق بعِرْضِه » .

فقد كان علبة بن زيد بن حارثة رجلًا من أصحاب النبي ﷺ ، فلمَّا حضَّ على الصدقة ، جاء كل رجلٍ منهم بطاقته وما عنده ، فقال علبةُ ابن زيد : اللهم إنه ليس عندي ما أتصدَّق به ، اللهم إني أتصدَّق بعِرْضِي على من ناله من خَلْقك . فأمر رسولُ الله ﷺ مناديًا فنادى : أين المتصدِّق بعرضه البارحة ؟ فقام عُلبة ، فقال : « قد قُبِلَتْ صَدَقَتُك » . وعند ابن القيم في زاد المعاد : « أَبْشِر ، فوالذي نفس محمدٍ بيده ، لقد كُتبتْ في الزَّكاة المُتقبَّلة » . وفي هذا الجود من سلامة الصدر ، وراحة القلب ، والتَّخلُّص من مُعاداة الخَلْق ما فيه .

الثامنة : الجُود بالصَّبر ، والاحتمال ، والإغضاء :

هذه مرتبة شريفة من مراتبه . وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال وأعَزّ له وأنْصَر ، وأمْلَك لنفسه ، وأشرف لها . ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار ، كما قال ﷺ : « من كظم غيظًا ، وهو قَادِرٌ على أن يُنفذه ، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّره من الحور العين ، يُزوِّجه منها ما شاء »[(١)].

وكما جاء في حديث ابن عمر عند الطبراني : « ... ومن كظم غيظًا ، ولو شاء أن يُمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة »[(٢)].

فمن صَعُبَ عليه الجود بماله ، فعليه بهذا الجود ، فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة . وهذا جود الفتوّة . قال تعالى : ﴿ **والجروح قِصاص فمن تصدَّق به فهو كفَّارةٌ له** ﴾ [المائدة : ٤٥] . وفي هذا الجود : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحبُّ الظالمين** ﴾ [الشورى : ٤٠].

التاسعة : الجود بالخُلق والبِشْر والبَسْطَة :

وهو فوق الجود بالصبر ، والاحتمال والعفو . وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وهو أثقل ما يوضع في الميزان . قال النبي ﷺ : « لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تَلْقَى أخاك ووجهُك مُنْبَسِط إليه » . وفي هذا الجود من المنافع والمسارّ ، وأنواع المصالح ، ما فيه ، والعبد يمكنه أن

---

(١) حسن . رواه أصحاب السنن الأربعة ، وأحمد ، وأبو نعيم في الحلية ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٣٩٤) .

(٢) حسن . جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، والطبراني في الكبير وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٩٠٣) وصحيح الجامع رقم (١٧٤) .

يَسَعَهم بِخلُقه واحتماله .

العاشرة : الجود بتركِهِ ما في أيدي الناس عليهم :

فلا يلتفت إليه ولا يستشرف له بقلبه ، ولا يتعرَّض له بحاله ، ولا لسانه . وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك فيه : « سخاء النفس عمّا في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبَذْل » فلسان حال القدر يقول للفقير الجواد : وإن لم أُعطك ما تجود به على الناس ، فجُد عليهم بزُهدك في أموالهم وما في أيديهم ، تُفضِل عليهم ، وتُزاحمهم في الجود ، وتنفرد عنهم بالراحة . ولكلِّ مرتبةٍ من مراتب الجود ، مزيد وتأثير خاصّ في القلب والحال . والله سبحانه قد ضَمِنَ المزيد للجواد ، والإتلاف للمُمْسِك . والله المستعان »[1] .

* * *

(١) مدارج السالكين بتصرف ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٦ .

□ الإيثـــار □

قال تعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصَةٌ ومن يُوق شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هم المفلحون** ﴾ [الحشر : ١٦] .

أعلى مراتب الجود والإحسان الإيثار ... بأبي وأُمي صفة كأنَّما أُنزلت في دار الدنيا من أجل الأنصار ، فلهم فيها القدح المعلّى وقَصَب السَّبق .

وتأمّل سِرّ التقدير ، حيث قدَّر الحكيم الخبير - سبحانه - استئثار الناس على الأنصار بالدنيا - وهم أهْلُ الإيثار - ليجازيهم على إيثارِهم إخوانَهم - في الدنيا - على نفوسهم ، بالمنازل العالية في جنات عدن على الناس ، فتظهر حينئذٍ فضيلة إيثارهم ودرجته ، ويغبطهم من استأثر عليهم بالدنيا أعظم غِبْطة . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فإذا رأيت الناس يستأثِرون عليك - مع كونك من أهل الإيثار - فاعلم أنه لخير يُراد بك . والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨) : قال : « وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : أن تُؤثر الخلْق على نفسك فيما لا يَخْرِم عليك دينًا ، ولا يقطع عليك طريقًا ، ولا يُفسد عليك وقتًا » .

يعني : أن تقدّمهم على نفسك في مصالحهم ، مثل أن تطعمهم وتجوع ، وتكسوهم وتَعْرَى ، وتسقيهم وتَظْمأ ، بحيث لا يؤدِّي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين . ومثل أن تؤثرهم بمالك وَتَقْعُدَ كَلًّا مضطرًا ، مستشرِفًا للناس أو سائلًا ، وكذلك إيثارهم بكل ما يحرمه على المؤثر دينه ، فإنه سَفَه وَعَجْز ، يُذمّ المؤثر به عند الله وعند الناس .

وأما قوله : « ولا يقطع عليك طريقًا » . أي لا يقطع عليك طريق الطَّلب والمسير إلى الله تعالى ، مثل أن تؤثِر جليسك على ذِكْرِك وتوجّهك وجمعيّتك على الله ، فتكون قد آثرته على الله ، وآثرت بنصيبك من الله ما لا يستحقّ الإيثار . فيكون مَثَلك كمثل مسافر سائر على الطريق ، لَقِيَه رجلٌ فاستوقفه ، وأخذ يحدّثه ويُلهيه حتى فاته الرِّفاق . وهذا حال أكثر الخلْق مع الصادق السائر إلى الله تعالى ، فإيثارهم عليه عين الغبْن . وما أكثر المؤثِرين على الله تعالى غيره ، وما أقلّ المؤثرين الله على غيره .

وكذلك الإيثار بما يُفسد على المؤثر وقته قبيح أيضًا ، مثل أن يؤثر بوقته ويفرّق قلبه في طَلَب خلفه ، أو يؤثر بأمرٍ قد جمع قلبه وهمّه على الله ، فيفرّق قلبه عليه بعد جمعيته ، ويشتّت خاطره ، فهذا أيضًا إيثار غير محمود .

وكذلك الإيثار باشتغال القلب والفِكر في مهماتهم ومصالحهم - التي لا تتعيّن عليك - على الفكر النافع ، واشتغال القلب بالله ، ونظائر ذلك لا تخفى . بل ذلك حال الخلْق ، والغالب عليهم .

وكل سببٍ يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله : فلا تُؤثِر به أحدًا ، فإن آثرتَ به ، فإنما تُؤثِر الشيطان على الله ، وأنت لا تعلم .

وتأمَّل أحوال أكثر الخَلْق في إيثارهم على الله مَنْ يَضُرّهم إيثارُهم له ولا ينفعهم . وأيّ جهالة وسفهٍ فوق هذا ؟!

ومن هذا تكلّم الفقهاء في الإيثار بالقُرَب ، وقالوا : إنه مكروه أو حرام ؛ كمن يؤثِر بالصَّفّ الأول غَيْرَهُ ويتأخّر هو ، أو يؤثره بقُربه من الإمام يوم الجمعة ، أو يؤثر غيره بالأذان والإقامة ، أو يؤثِره بِعِلْمٍ يحرِمُه نَفْسَه ،

ويرفعه عليه ، فيفوز به دونه .

وتكلَّموا في إيثار عائشة - رضي الله عنها - لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بدَفْنِه عند رسول الله ﷺ في حجرتها . وأجابوا عنه بأن الميت ينقطع عملُه بموته وبقُربه ، فلا يتصوّر في حقّه الإيثار بالقرب بعد الموت ، إذ لا تقرُّب في حق الميت ، وإنما هذا إيثار بمسكنٍ شريفٍ فاضلٍ لمن هو أوْلَى به منها . فالإيثار به قُربةٌ إلى الله عز وجل للمُؤثِر . والله أعلم .

قال : « ولا يُستطاع إلا بثلاثة أشياء : بتعظيم الحقوق ، وَمَقْت الشُّحّ ، والرَّغْبة في مكارم الأخلاق » .

ذكر ما يُعين على « الإيثار » فيبعث عليه ، وهو ثلاثة أشياء :

تعظيم الحقوق ؛ فإن من عظمت الحقوق عنده ، قام بواجبها ، ورعاها حق رعايتها ، واستعظم إضاعتها ، وعلم أنه إن لم يبلُغ درجة الإيثار ، لم يؤدّها كما ينبغي ، فيجعل إيثاره احتياطًا لأدائها .

الثاني : مَقْت الشُّحّ ؛ فإنه إذا مَقَتَه وأبغضَهُ ، التزم الإيثار ، فإنه يرى أنه لا خَلَاصَ له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار .

الثالث : الرغبة في مكارم الأخلاق ، وبِحَسَب رغبته فيها يكون إيثاره ؛ لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق .

« **الدرجة الثانية** : إيثار رضا الله على رضا غيره ، وإن عَظُمت فيه المحن ، وثقُلت فيه المُؤَن ، وضعف عنه الطَّوْل والبدن » .

قال ابن القيم : إيثار رضا الله على غيره : هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته ، ولو أغضب الخلق . وهي درجة الأنبياء ، وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وأعلاها لأُولي العزم منهم ، وأعلاها لنبيِّنا ﷺ

وعليهم ؛ فإنه قاوم العالم كله ، وتجرَّد للدعوة إلى الله ، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى ، وآثر رضا الله على رضا الخلْق من كل وجهٍ ، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم ، بل كان هَمُّه وعَزْمه وَسَعْيه كلّه مقصورًا على إيثار مرضاة الله ، وتبليغ رسالاته ، وإعلاء كلماته ، وجهاد أعدائه ، حتى ظَهَر دين الله على كل دينٍ ، وقامتْ حجَّتُه على العالمين ، وتمَّت نعمته على المؤمنين ، فبلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونَصَحَ الأُمَّة ، وجاهد في الله حقَّ جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه . فلم ينل أحدٌ من درجة هذا الإيثار ما نال صلوات الله وسلامه عليه .

وأما قوله : « وإن عَظُمتْ فيه المحن ، وثَقُلتْ فيه المؤن » .

فإن المحنة تعظم فيه أولًا ، ليتأخّر من ليس من أهله ، فإذا احتملها وتقدَّم انقلبت تلك المحن مِنَحًا ، وصارت تلك المؤن عَوْنًا . وهذا معروف بالتَّجربة الخاصّة والعّامة ؛ فإنه ما آثر عبدٌ مرضاة الله عز وجل على مرضاة الخلق ، وتحمّل ثقل ذلك ومُؤْنَتَه ، وصبر على محنته ، إلا أنشأ الله من تلك المحنة والمؤنة : نعمةً ومسرَّةً ومعونةً ، بِقَدْر ما تحمَّل من مرضاته ، فانقلبتْ مخاوفُهُ أمانًا ، ومظانُّ عَطَبه نجاةً ، وتعبُهُ راحةً ، ومؤنتُهُ معونةً ، وبليَّتُهُ نعمةً ، ومحنتُهُ مِنحةً ، وسخطُهُ رضًا . فيا خيبةَ المتخلِّفين ، ويا ذِلَّة المتهيِّبين !

هذا ، وقد جرت سُنَّة الله - التي لا تبديل لها - أن مَنْ آثَرَ مرضاة الخلْق على مرضاته ، أن يسخطَ عليه مَنْ آثر رضاه ، ويخذُله مِن جهته ، ويجعل محنتَهُ على يديه ، فيعود حامدُهُ ذامًّا ، ومَن آثر مرضاته ساخطًا ، فلا على مقصوده منهم حَصَل ، ولا إلى ثواب مرضاة رَبِّه وَصَل ، وهذا أعجز الخلْق وأحمقُهم .

هذا مع أن رضا الخلْق : لا مقدور ، ولا مأمور ، ولا مأثور . فهو مستحيلٌ ، بل لا بدَّ من سخطهم عليك ، فَلأَنْ يسخطوا عليك وتفوز برضا الله عنك ، أحبُّ إليك وأنْفَعُ لك من أن يَسْخوا عليك والله عنك غير راضٍ . فإذا كان سخطهم لا بدَّ منه - على التقديرَيْن - فآثِرْ سخطَهم الذي يُنال به رِضَا الله ، فإنْ هم رضوا عنك بعد هذا ، وإلَّا فأهْوَن شيءٍ رضا مَنْ لا ينفعك رضاه ، ولا يضرُّك سخطُه في دينك ، ولا في إيمانك ، ولا في آخرتك . فإن ضرَّك في أمرٍ يسيرٍ في الدنيا ، فمضرَّةُ سخطِ الله أعْظَمُ وأعظمُ . وخاصّة العقل : احتمال أدنى المفسدتيْن لدفع أعلاهما ، وتفويت أدنى المصلحتيْن لتحصيل أعلاهما . فوازِنْ بعقلك ، ثم انظر أيَّ الأمريْن خيرٌ فآثِرْه ، وأيهما شرٌّ فابْعُدْ عنه ، فهذا برهان قطعيّ ضروري في إيثار رِضَا الله على رِضَا الخلْق .

هذا مع أنه إذا آثر رِضَا الله ، كفاه اللهُ مؤنةَ غضب الخلْق ، وإذا آثر رضاهم ، لم يكفوه مؤنةَ غضب الله عليه .

قال بعض السَّلف : **لَمُصَانَعَةُ** وجهٍ واحد **أيسرُ** عليك من مصانعة وجوه كثيرةٍ ؛ إنك إذا صانعت ذلك الوجه الواحد كفاك الوجوه كلها .

وقال الشافعي رضي الله عنه : رضا الناس غايةٌ لا تدرك ، فعليك بما فيه صلاح نفسك فالزمه .

ومعلوم : أنه لا صلاحَ للنفس إلَّا بإيثارِ رضا ربها ومولاها على غيره . ولقد أحسن أبو فراس في هذا المعنى ، إلا أنه أساء كل الإساءة في قوله ؛ إذ يقوله لمخلوق لا يملك له ولا لنفسه نفعًا ولا ضرًّا :

فليتكَ تَحْلُو والحياة مَريرة ... وَلَيْتَكَ ترضى والأنام غِضَابُ
وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العَالِمينَ خَرَابُ

إذا صَحَّ منك الوُدُّ فالكل هَيِّن   وكلُّ الذي فوق الترابِ تُرابُ

ثم ذكر الشيخ - رحمه الله - ما يُستطاع به هذا الإيثار العظيم الشأن فقال : « ويستطاع هذا بثلاثة أشياء : بطيب العود ، وحُسْن الإسلام ، وقوة الصبر » .

من المعلوم : أن المؤثر لرضا الله مُتصدٍّ لمعاداةِ الخلق وأذاهم ، وسعيهم في إتلافه ولا بد . هذه سنة الله في خلقه ، وإلا فما ذنب الأنبياء والرسل ، والذين يأمرون بالقسط من الناس ، والقائمين بدين الله ، الذَّابِّينَ عن كتابه وسنة رسوله عندهم ؟

فمن آثر رضا الله فلا بد أن يُعادِيه رُذَالةُ العالم وسَقَطُهم ، وغَرْثَاهم[1] وجُهَّالهم ، وأهلُ البدع والفجور منهم ، وأهلُ الرِّيَاسات الباطلة ، وكلُّ من يخالف هَدْيُه هَدْيَه . فما يُقْدم على معاداة هؤلاء إلا طالبُ الرجوع إلى الله ، عامل على سماع خطاب : ﴿ **يأيَّتُها النَّفْسُ المطمئنة ارْجعي إلى رَبِّك راضيةً مَرْضِيةً** ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٢٨] ومَنْ إسْلَامه صُلبٌ كامل لا تُزَعْزعه الرجال ، ولا تُقَلْقله الجبال ، ومَنْ عَقْد عزيمةِ صَبْره مُحْكَمٌ لا تَحُلُّه المحن والشدائد والمخاوف .

قلت : ومَلاكُ ذلك أمران : الزهد في الحياة والثناء . فما ضَعُفَ من ضعف ، وتَأَخَّر من تأخر إلا بحبه للحياة والبقاء ، وثناء الناس عليه ، ونفرته من ذَمِّهم له . فإذا زهد في هذين الشيئين ، تأخَّرت عنه العوارضُ كلها ، وانغمس حينئذٍ في العساكر .

ومَلاكُ هذين الشيئين بشيئين : صحة اليقين ، وقوة المحبة .

---

(١) جوعاهم .

ومَلاكُ هذين بشيئين أيضًا : بصدْق اللُّجْأ والطَّلب ، والتَّصدي للأسباب الموصلة إليهما .

فإلى هاهنا تنتهي معرفة الخَلْق وقدرتهم . والتوفيق بعدُ بِيَدِ مَنْ أَزِمَّةُ الأمور كلها بيده ﴿ **وما تشاءُون إلَّا أنْ يشاءَ الله إنَّ الله كان عليمًا حكيمًا يُدْخِل مَنْ يشاءُ في رحمته والظَّالمين أعَدَّ لهم عذابًا أليمًا** ﴾ [الإنسان : ٣٠ - ٣١] .

قال : « **الدَّرجة الثالثة** : إيثارُ إيثارِ الله . فإن الخوض في الإيثار دعوى في المِلْك . ثم تَرْك شهودِ رؤيتك إيثار الله . ثم غيبتك عن الترك » .

يعني بإيثار إيثار الله : أن تَنْسب إيثارَك إلى الله دون نفسك ، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار ، لا أنت . فكأنَّك سَلَّمت الإيثار إليه . فإذا آثرتَ غيرك بشيءٍ فإن الذي آثره هو الحق ، لا أنت . فهو المُؤْثر حقيقةً ؛ إذْ هو المعطي حقيقة .

ثم بَيَّنَ الشيخ السببَ الذي يصحُّ به نسبة الإيثار إلى الله ، وترك نسبته إلى نفسك ، فقال : « فإن الخوض في الإيثار : دعوى في الملك » .

فإذا ادَّعى العبد : أنه مُؤْثر فقد ادَّعى مِلْك ما آثر به غيره . والملك في الحقيقة : إنما هو لله الذي له كل شيءٍ . فإذا خرج العبد عن دعوى الملك فقد آثر إيثار الله - وهو إعطاؤه - على إيثار نفسه ، وشهد أن الله وحده هو المؤثر بملكه . وأما من لا ملك له : فأي إيثار له ؟

وقوله : « ثم تركُ شهود رؤيتك إيثار الله » .

يعني أنك إذا آثرتَ إيثار الله بتسليمك معنى الإيثار إليه ؛ بقيتْ عليك من نفسك بقية أخرى لا بدَّ من الخروج عنها ، وهي أن تُعْرِض عن شهودك رؤيتك أنك آثرت الحق بإيثارك ، وأنك نسبتَ الإيثار إليه لا إليك . فإن

في شهـودك ذلك ، ورؤيتك له : دعـوى أخرى ، هي أعظم من دعوى الملك ، وهي أنك ادَّعيت أن لك شيئًا آثرت به الله ، وقدمته على نفسك فيه ، بعد أن كان لك . وهذه الدعوى أصعب من الأولى ؛ فإنها تتضمن ما تضمنته الأولى من الملك ، وتزيد عليها برؤية الإيثار به ؛ فالأول : مُدَّعٍ للملك مؤثر به . وهذا مدعٍ للملك ومدع للإيثار به . فإذن يجب عليه ترك شهود رؤيته لهذا الإيثار ، فلا يعتقد أنه آثر الله بهذا الإيثار ، بل الله هو الذي استأْثر به دونك ، فإن الأَثَرة واجبةٌ له بإيجابه إياها بنفسه ، لا بإيجاب العبد إياها له .

قوله : « ثمَّ غيبتك عن الترك » .

يريد : أنك إذا نزلت هذا الشهود وهذه الرؤية : بقيت عليك بقية أخرى ، وهي رؤيتك لهذا التَّرك ، المتضمِّنة لدعوى ملكك للترك . وهي دعوى كاذبة ؛ إذ ليس للعبد شيء من الأمر ؛ ولا بيده فِعْلٌ ولا ترك ، وإنما الأمر كله لله .

وقد تبيَّن في الكشف والشهود والعلم والمعرفة : أن الغبد ليس له شيء أصلًا ، والعبد لا يملك حقيقةً ؛ إنما المالك بالحقيقة سيده . فالأَثَرة والإيثار والاستئثار كلها لله ، ومنه وإليه ، سواء اختار العبد ذلك وعلمه أو جهله ، أمْ لم يختره ، فالأَثَرة واقعة ، كَرِه العبدُ أم رضي ، فإنها استئثار المالك الحق بملكه تعالى ، وقد فهمتُ من هذا قوله : « فإن الأَثَرة تَحْسُن طوعًا . وَتَصِحُّ كَرهًا » . والله سبحانه وتعالى أعلم[1] .

* * *

(١) انتهى النقل بأكمله من مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٢٩١ - ٣٠٤ .

□ صُورٌ من الإيثار □

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ ، فبعث إلى نسائه ، فقلن : ما معنا إلَّا الماء ، فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ يَضُمُّ - أو يضيف - هذا ؟ » فقال رجلٌ من الأنصار : أنا . فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا إلّا قوتِ صبياني . فقال : هيئي طعامَك ، وأصبحي سِرَاجك ، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عَشَاءً ، فهيَّأت طعامها ، وأصبحتْ سِرَاجَهَا ، ونوّمت صبيانها ، ثم قامت كأنها تُصلح سراجها فأطفأته ، فجعلَا يُريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين . فلما أصبح غَدَا إلى رسول الله ﷺ فقال : « ضحك اللهُ الليلةَ - أو عجب - من فعالكما » فأنزل الله : ﴿ **وَيُؤْثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [الحشر : ٩] [(١)] .

واسم هذا الصحابي أبو طلحة ، كما وقع في رواية مسلم ، وليس هو أبا طلحة زيد بن سهل .

علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه :

بات رضي الله عنه على فراشِ النبي ﷺ يَفديهِ ويُؤْثره بالحياة ، وهو مَوْقفٌ تَعْجز كلُّ كلمات الدنيا أن تحيط به .. حمى الدعوة والرسالة في شخصِ نبيِّها ، فآثره الله على من سواه بزواجه من أحبِّ الناس إلى رسول الله ﷺ ، وأم أبيها ، وسيدة نساء العالمين ، فاطمة بنت محمدٍ ﷺ ؛ لتَسْعد فراشه رضي الله عنه وعنها .

* * *

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

سَعْد بن الرَّبيع رضي الله عنه :

لمَّا هاجر عبد الرحمٰن بن عوف إلى المدينة فقيرًا ، لا شيءَ له ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، أحد النُّقباء ، فعرض عليه أن يشاطره نعمته ، وأن يُطلِّق له أحسن زوجتيه . فقال له عبد الرحمٰن بن عوف : بارك الله لك في أهلك ومالك ، ولكن دُلَّني على السوق .

فهذا والله الإيثار .. وهذه شِيَمُ الأنصار ، وهذا سَعْدٌ ، وأي الناس كابن الربيع .

قال الحسن البصري : والله لقد رأيتُ أقوامًا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قَدَمَيْه ، ولقد رأيتُ أقوامًا يُمسي أحدُهم ولا يَجدُ عنده إلا قوتًا ، فيقول : لا أجعل هذا كلَّه في بطني ، فيتصدَّق ببعضه ، ولعلّه أجوع إليه ممن يتصدق عليه .

إبراهيم بن يَزيد التَّيْمي :

عن ابن سعد : أخبرنا علي بن محمد قال : طلب الحجاجُ إبراهيمَ النَّخعي ، فجاء الرسول فقال : أريد إبراهيم ، فقال إبراهيم التيمي : أنا إبراهيم ، ولم يستحلّ أن يدلَّه على النخعي ، فأمر بحبسه في الدَّيْمَاس ، ولم يكن لهم ظلٌّ من الشمس ، ولا كِنٌّ من البرد ، وكان كل اثنين في سلسلة ، فتغيّر إبراهيم ، فعادته أمُّه فلم تعرفه حتى كلَّمها ، فمات ، فرأى الحجاجُ في نومه قائلًا يقول : مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة . فسأل فقالوا : مات في السجن إبراهيم التيمي ، فقال : حُلْم ، نَزْغةٌ من نزغات الشيطان ، وأمر به فألقي على الكُنَاسة .

رحمك الله يا إبراهيم ، آثرتَ أخاك على نَفْسِكَ وأنت تَعْلم أنك ستسجن .

بَقِـيّ بن مَخْـلد :

قال ابن البادية الحافظ : كان أَسْلم بن عبد العزيز يُقدِّمه على جميع من لقيه بالمشرق ، ويصف زهده ويقول : ربما كنتُ أمشي معه في أزقَّة قرطبة ، فإذا نظر في موضع خالٍ إلى ضعيفٍ محتاج أعطاه أحد ثوبيه .

الخطيب البَغْدادي وأبو بكر ابن زهراء :

مَنْ صَفا صُفِّيَ له .

أوصى الخطيب البغدادي بأن يُتصدق بجميع ثيابه .

قال أبو البركات إسماعيل بن أبي سعدٍ الصوفي : كان الشيخ أبو بكر ابن زهراء الصوفي بِرِبَاطِنَا ، قد أعدَّ لنفسه قبرًا إلى جانب قبر بشرٍ الحافي ، وكان يمضي إليه كل أسبوع مرة وينام فيه ، ويَتْلو فيه القرآن كله ، فلما مات أبو بكر الخطيب ، كان قد أوصى أن يُدفن إلى جنب قبر بشرٍ ، فجاء أصحاب الحديث إلى ابن زهراء ، فسألوه أن يدفنوا الخطيب في قبره وأن يؤثره به ، فامتنع وقال : موضعٌ قد أعددتُه لنفسي يُؤخذ مني ؟! فجاءوا إلى والدي ، وذكروا له ذلك ، فأُحضر ابن زهراء ، وهو أبو بكر أحمد بن علي الطُّرَيْثِيثي فقال : أنا لا أقول لك : أَعْطهم القبر ، ولكن أقول لك : لو أن بشرًا الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه ، فجاء أبو بكر الخطيب ليقعد دونك ، أكان يَحْسُن بك أن تقعد أعلى منه ، قال : لا ، بل كنت أُجْلِسُه مكاني . قال : فهكذا ينبغي أن تكون السَّاعة . قال : فطاب قلبه وأَذِنَ .

عبد الغَني المقدسي :

قال منصور الغضاري : شاهدتُ الحافظ في الغلاء بمصر ، وهو ثلاث ليالٍ يُؤثر بِعَشَائه ويَطْوي .

* * *

دَاود الطَّائي :

قال حماد بن أبي حنيفة : إن مولاةً كانت لداود الطائي تخدمه ، قالت : لو طبختُ لك دَسَمًا تأكله ؟ فقال : وددت . فطبختْ له دسمًا ثم أتته به ، فقال لها : ما فعل أيتام بني فلان ؟ قالت : على حالهم . قال : اذهبي بهذا إليهم . فقالت : أنت لم تأكل أُدْمًا منذ كذا وكذا . فقال : إنَّ هذا إذا أكلوه صار إلى العَرْش ، وإذا أكلتُه صار إلى الحُشِّ[1] .

« وعن أبي الحسن الأنطاكي : أنه اجتمع عنده نَيِّفٌ وثلاثون نفسًا – وكانوا في قريةٍ بِقُرْب الرَّيِّ – ولهم أرغفةٌ معدودة ، لم تُشْبع جميعهم ، فكسروا الرُّغفان وأطفئوا السِّراج ، وجلسوا للطعام ، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله ، ولم يَأْكل أحدٌ منه شيئًا ، إيثارًا لصاحبه على نفسه »[2] .

بِنَفْسِي أَنْتم شُهَدَاء اليَرْمُوك :

عن ابن الأعرابي قال : اسْتَشْهد باليرموك عكرمةُ بن أبي جهل ، وسهيل بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام ، وجماعةٌ من بني المغيرة ، فأُتوا وهم صَرْعى ، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه !! أتي عكرمةُ بالماء فنظر إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدءوا به . فَنَظر سُهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدءوا بهذا . فماتوا كلهم قبل أن يشربوا ، فمر بهم خالد بن الوليد فقال : بنفسي أنتم[3] !.

وفي الإحياء للغزالي : « قال حذيفة العدوي : انطلقتُ يوم اليرموك

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٢٦١ .
(٢) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٧٣ .
(٣) التبصرة ٢ / ٢٥٩ .

أطلب ابن عمٍّ لي ، ومعي شيءٌ من ماء ، وأنا أقول : إن كان به رمقٌ سَقَيتُه ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به فقلت : أسقيك ؟ فأشار إليَّ أنْ نَعم ، فإذا رجل يقول : آه .. فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو هشام بن العاص ، فقلتُ : أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال : آه .. فأشار هشام : انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات ، رحمةُ الله عليهم أجمعين »[1].

الرَّبيع بن خُثيْم رحمه الله :

اشتهى الربيعُ بن خثيم حَلْواء ، فلمَّا صُنعت دعا بالفقراء فأكلوا ، فقال أهله : أتعبْتنا ولم تأكل . فقال : وهل أكل غيري ؟!.

بشر بن الحارث الحافي :

قال عباس بن دَهْقان : ما خرج أحدٌ من الدنيا كما دخلها إلا بشر ابن الحارث ؛ فإنه أتاه رجلٌ في مرضه فشكا إليه الحاجة ، فنزع قميصه وأعطاه إياه ، واستعار ثوبًا فمات فيه .

الجريري أبو محمد :

قال أبو الحسن بن مقسم : مات الجُريري - يعني أبا محمد - سنة وقعة الهَبير[2] ، مات عَطَشًا ؛ بلغني أن بعض الصوفية حمل إليه قدحًا من ماء يشربه ، فنظر إلى من حوله ، فقال للذي جاء به : وَيْحَكَ ، كيف أشرب أنا وهؤلاء يَتْلَفُونَ حولي ؟! أعطِه من شئت منهم ؛ فإن كان يصحُّ في وقتٍ

(١) الإحياء ٣ / ٢٧٤ .

(٢) الهَبير : رملُ زرُود ، في طريق مكة ، كانت عنده وقعة ابن أبي سعيد القرمطي بالحجاج في سنة ٣١٢ .

إيثارٌ ففي مثل هذا الوقت ، ومات عطشًا[١] .

أبو الحُسين النُّوري :

عن أبي العباس بن عطاء قال : سَعَى ساعٍ بالصوفية إلى الخليفة ، فقال : إن هاهنا قومًا من الزَّنادقةِ يرفضون الشَّريعة ، فأُخذ أبو الحسين النُّوري ، وأبو حمزة ، والدَّقام ، وتَستَّر الجُنيدُ بالفقه ، فكان يتكلّم على مذهب أبي ثور ، فأُدخلوا على الخليفة ، فأمر بضرب أعناقهم ، فَبَدَرَ أبو الحسين إلى السَّيَّاف ليضرب عنقه ، فقال له السيَّاف : مَا لكَ بدرتَ من بين أصحابك ؟ فقال : أحببتُ أن أُوثر أصحابي بحياةِ هٰذه اللحظة . فتعجَّب السَّياف من ذلك وجميعُ من حضر ، وكتب به إلى الخليفة ، فردَّ أمرَهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق ، فقام إليه النوريُّ ، فسأله عن أصول الفرائض في الطهارة والصلاة فأجابه ، ثم قال : وَبَعْدَ هذا ، فإنَّ لله عبادًا يأكلون بالله ، ويلبسون بالله ، ويسمعون بالله ، ويَصْدُرون بالله ، وَيَرِدُونَ بالله ، فلما سمع القاضي كَلَامَه بكى بكاءً شديدًا ، ثم دخل على الخليفة فقال : إن كان هؤلاء القوم زنادقة ، فما على وجه الأرض مُوَحِّدٌ[٢] .

نافع بن جُبير :

عن مِسْعر قال : شُوي لنافع بن جبير دَجَاجة ، فجاء سائل فأعطاها إيَّاه ، فقال له إنسان في ذلك ، فقال : إني أبغي ما هو خير منها[٣] .

* * *

---

(١) تاريخ بغداد ٤ / ٤٣٣ - ٤٣٤ ، والجامع لشُعَب الإيمان للبيهقي ٧ / ٩٦ - ٩٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٥ / ١٣١ ، والحلية ١٠ / ٢٥٠ ، والجامع لشعب الإيمان ٧ / ٩٧ .

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي ١ / ٥٦١ ، والجامع لشعب الإيمان ٧ / ١٠٠ .

يحيى بن معاذ الرَّازي :

قال يحيى بن معاذ الرازي : عجبتُ من رجل يُرائي بعمله الناس وهم خَلْق مثله ، ومِنْ رجلٍ بقي له مالٌ وربُّ العزة يستقرضه ، ورجلٍ رغب في محبة مخلوق والله يدعو إلى محبته ، ثم تلا : ﴿ **واللهُ يدعو إلى دَارِ السَّلام** ﴾ [يونس : ٢٥] .

الحَكَم بن المطَّلب بن حَنْطَب :

قال مصعب : كان الحكم بن المطَّلب من أبرِّ الناس بأبيه ، وكان أبوه - المطلب بن عبد الله - يحب ابنًا له يقال له : « الحارث » حُبًّا شديدًا مفرطًا ، وكان بالمدينة جارية مشهورة بالجمال والفَراهة ، فاشتراها الحكم من أهلها بمالٍ عظيم ، فقال له أهلها - وكانت مُوَلَّدةً عندهم - : دعها عندنا حتى نصلح لك من شأنها ، ثم نزفّها إليك بما تستأهل الجارية منا ، فإنَّما هي لنا ولد ، فتركها عندهم حتى أصلحوا حالها ، ثم نقلوها كما تُزَفُّ العروس إلى زوجها ، وتهيَّأ الحكم بأجمل ثيابه وتطيَّب ، ثم انطلق ، ثم بدأ بأبيه ليراه في تلك الهيئة ويدعو له - تَبَرُّكًا بدعائه - حتى دخل عليه وعنده الحارث ابن المطلب أخوه ، فلما رآه أبوه في تلك الهيئة أقبل عليه فقال : إنّ لي حاجة . قال : ما تقول يا أَبَهْ ؟! إنَّما أنا عبدك ، فَمُرني بما أحببت . قال : تَهِبُ جاريتك هذه للحارث أخيك ، وتعطيه ثيابك هذه التي عليك ، وتطيِّبه من طيبك ، وتدعه حتى يدخل على هذه الجارية . فقال له الحارث : لِمَ تُكَدِّرُ عليَّ أخي وتُفسد عليه قلبه ؟! وذهب يريد يَحْلف ، فَبَدَره الحكم ، فقال : هي حرّةٌ إن لم تفعل ما أمرك به أبي ؛ فإنّ قرةَ عينهِ أَسرُّ إليَّ من هذه الجارية ، وخلع ثيابه فألبسه إياها وطيَّبه ، ودفع إليه الجارية[1] !!.

---

(١) لباب الآداب ، للأمير أسامة بن منقذ صـ ٩٧ - ٩٨ .

إنَّ الكِـــرامَ مُناهِبُـــو ... كَ المجــدَ كُلُّهُـمُ فناهِـبْ
أَخلِـفْ وأتلِـفْ كلّ شـيْ ... ءٍ زَعْزعتـه الـريحُ ذاهـبْ

وقال محمود الورّاق :

تمتَّعْ بمـالِكَ قبلَ الممـاتِ ... وإلَّا فَـلَا مـالَ إنْ أنتَ مُتَّـا
شقــيتَ به ثم خلّفتَـــهُ ... لغَـيْرِكَ بُعْـدًا وسُحقًا ومَقْتَـا
فجـادُوا عليك بزُور البُكَـا ... وجُدتَ عليهم بما قد جَمَعْتَا
وأوهبتَهمْ كلَّ ما في يَدَيْك ... وخَلَّوْك رهنًا بما قَد كسبتَا

وقال ابن الرومي :

بَقَّيْتَ مَالكَ ميراثًا لوَارثهِ ... فليتَ شِعْرِيَ ما بقّى لك المالُ
القومُ بعدكَ في حال تَسرُّهُمُ ... فكيفَ بعدهُمُ حالتْ بِكَ الحالُ
مَلُّوا البكاءَ فما يَبْكيك من أحدٍ ... واستحكم القيلُ في الميراث والقالُ
وَلّتْهُمُ عنك دنيا أقبلتْ لَهُمُ ... وأدبرتْ عنكَ والأيامُ أحوالُ[١]

قال أبو نصر العاملي : كان يقـال : زكاة النِّعَم اتخـاذُ الصنائع والمعروف[٢].

وقال محمد بن واسع : ما رَدَدَتُ أحدًا عن حاجةٍ أقدر على قضائها ، ولو كان فيها ذَهَاب مالي[٣].

قال رسول الله ﷺ : « وأي داءٍ أَدْوى من البخل »[٤].

---

(١) لباب الآداب صـ ١٢٧ .
(٢) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا صـ ٩٨ تحقيق عمرو عبد المنعم ، مكتبة ابن تيمية .
(٣) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا صـ ٨٢ .
(٤) صحيح :

قال ابن القيم في الوابل الصيب : « كان عبد الرحمن بن عوف - أو سعد بن أبي وقّاص - يطوف بالبيت وليس له دَأبٌ إلا هذه الدَعْوة : ربِّ قني شُحَّ نفسي ، رب قني شح نفسي . فقيل له : أما تدعو بغير هذه الدعوة ؟ فقال : إذا وُقيتُ شَرَّ نفسي فقد أفلحت .

والفرق بين **الشُّحِّ والبخلِ : أن الشُّحَّ** : هو شدة الحرص على الشيء ، والإحفاء في طلبه ، والاستقصاء في تحصيله ، وجشع النفس عليه . والبخل : منع إنفاقه بعد حصوله،وحُبّه وإمساكه ، فهو شحيحٌ قبل حصوله ، بخيل بعد حصوله .

فالبخل ثمرة الشح ، والشح يدعو إلى البخل ، والشُّح كامنٌ في النفس .

وقال ﷺ : « شَرُّ ما في رجل شُحٌّ هالع وجبنٌ خالع »[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « إيَّاكم والشح ، فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بالشُّح ، أمرهم بالبخل **فبخِلوا** ، وأمرهم بالقَطِيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفُجُور ففجروا »[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ : « إذا ضَنَّ الناسُ بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعِينَةِ ، وتبعوا أَذْنَابَ البقر ، وتركوا الجهادَ في سبيل الله ، أَدْخل اللهُ عليهم ذُلًّا ، لا يرفعه عنهم حتى يُراجعوا ....

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري في التاريخ ، وأبو داود ، عن أبي هريرة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٧٠٩ .

(٢) صحيح : رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمرو ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦٧٨ .

دِينهم »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « إن لله تعالىٰ أقوامًا يختصُّهم بالنِّعَم لمنافعِ العباد ، ويُقرُّها فيهم ما بَذَلوها ، فإذا منعوها نَزَعَها منهم فحوَّلها إلى غيرهم »[٢] .

قال ابن القيم في الوابل الصَّيب : « السَّخِيُّ قريبٌ من الله تعالىٰ ، ومن خَلْقِه ومن أَهْله ، وقريبٌ من الجنة ، وبعيدٌ عن النار ، والبخيلُ بعيدٌ عن خَلْقه ، بعيدٌ من الجنة ، قريبٌ من النار . فجودُ الرجل يحبِّبه إلى أضداده ، وبخله يبغِّضُه إلى أولاده .

والسَّخاء نوعان :

فأشرفهما : سخاؤك عما بيد غيرك .

والثاني : سخاؤك ببذل ما في يدك . فقد يكون الرجل من أسخى الناس ، وهو لا يعطيهم شيئًا ؛ لأنه سَخَا عمَّا في أيديهم ، وهذا معنى قول بعضهم : السَّخاءُ أن تكون بمالك متبرِّعًا ، وعن مال غيرك متورعًا[٣] .

إخواني ، رَحَلَ من أَصِفُه ، وبقي من لا أعرفه ، سَلْ عنهم ﴿ **تجارةً لن تبور** ﴾ وزُرْ إذا **اشتقتهُمُ القبور** .

أَقْوَتْ مـن الحيِّ الدِّيَا   رُ فمـا لها في العَيْنِ نُور

---

(١) صحيح : رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٧٥ .

(٢) حسن : أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢١٦٤ .

(٣) الوابل الصَّيِّب صـ ٦٨ - ٧٠ .

كانوا يُؤْثرون بالطعام ويؤثرون الصيام ، ويَأْملون فضل الإنعام ، فما كانت إلا أيام حتى اخضرَّتِ البذور ﴿ **وَأَنْفقُوا مما رَزَقْناهم سِرًّا وعلانيةً يَرْجُونَ تجارةً لن تَبُور** ﴾ .

بَعَثوا الأموال الحبيبة إلى بلاد البَعْث الغريبة ، فإذا الأرباح عن قريبٍ قريبة ، وعلى هذا التجارةُ تدور ﴿ **يرجون تجارة لن تبور** ﴾ .

بالجِدِّ فاز من فاز ، وبالعَزْم جاز من جاز ، وما حاز الثناءَ مَنْ للمالِ حاز .

وسائلٍ عنهمُ ماذا تَقَدَّمَهُمْ فقلتُ فَضْلٌ به عن غَيْرهمْ بَانُوا
وألهج الحمد بالأبطالِ بَيْنَهُمُ أنْ ليس بَيْنَهُمُ للمالِ إبطانُ

واعجبًا لغنيٍّ يبخل بما يَفْنىٰ ، ولفقيرٍ لا يصبر على ما يبقىٰ .

أعاذلَ إن المال غير مُخَلّدٍ وإنَّ الغنىٰ عَارِيَّةٌ فتزوّدِ
فكم من جوادٍ يُفسِدُ اليومَ جُودَه وَسَاوسُ قَدْ خوَّفَنه الفَقْرَ في غَدِ

كم ناداك مولاك وما تسمع ، وكم أعطاك وما تَقْنَع ، لقد استقرضك مالَكَ فما لكَ تَجْمع ؟! وضمن أن الجَنَّة تُنبتُ سبعمائة وما تزرع .

لِيَكُنْ همّك في طلب المال الإفضالَ به ، فإن الشَّريف الهمّة لا يطلب الفضل إلا للفضل .

قال أعرابي لأخيه : إنَّ مَالَكَ إنْ لم يكنْ لك كنتَ له ، فكُلْه قبل أن يَأْكُلك .

كم مُخَلِّفٍ لمتخلِّفٍ ، ترك لمن لا يحمده ، وقَدم على من لا يَعْذِرُه ، رانَ على القلوب حبُّ الدنيا فجمعَتْها كفُّ الشَّره ، وتمسكتْ بها أيدي البخل ، فلو تَلَمَّحتَ معنى ﴿ **من ذا الذي يقرض** ﴾ أو اشتقتَ إلى أرباح

﴿ **فيضاعفه** ﴾ لرأيتَ إنفاق كلِّ محبوبٍ حقيرًا في جنب ما ترجو .

فتدبروا إخواني أحوالكم ، وأنفقوا في الخير أموالكم ، فإنَّ المال إذا أُخِذْتُم في سيركم لِغَيْركم .

كم مشغولٍ بالقصور يعمرها ، لا يفكر في القبور ولا يذكرها ، يبيتُ الليالي في فكر الدنيا ويسهرها ، يجمع الأموال إلى الأموال يثمرها ، وقع في أشراكِ المنايا وهو لا يُبْصرها ، أفٍّ لدنيا هذا آخرها ، وآهٍ لأخرى هذا أولها ﴿ **ولن يُؤخر اللهُ نفسًا إذا جاء أجَلُها** ﴾ .

* * *